جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم أصول الدين

أطروحة دكتوارة في التفسير وعلوم القرآن

بـعنـوان

"منـهجية القرآن الكريم في الإقناع"

The Holy Quran Methodology in Persuasion

إعداد الطالب: علي محمد مفلح القضاة

الرقم الجامعي: (2010250006)

إشراف: أ. د محمد أحمد سرحان

للعام الدراسي 1435هـ/2014م

اطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بعنوان

منهجية القران الكريم في الاقناع

إعداد الطالب

علي محمد مفلح القضاه

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك ، إربد – الأردن.

أعضاء المناقشة :

- أ.د. محمد أحمد سرحان مشرفاً رئيساً
أستاذ التفسير وعلوم القرآن / جامعة اليرموك

- أ.د عبدالله أبو السعود بدر ياسين عضواً
أستاذ التفسير وعلوم القرآن / جامعة اليرموك

- أ.د أحمد خالد شكري عضواً
أستاذ التفسير وعلوم القرآن / الجامعة الأردنية

- د. يحيى ضاحي شطناوي عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن / جامعة اليرموك

- د. زكريا علي الخضر عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن / جامعة اليرموك

ملخص الرسالة

الرسالة تقع في 181 صفحة وتشتمل على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة،على النحو التالي:

الفصل الأول: إرساء القرآن الكريم للمنهجية

الفصل الثاني: أسس الإقناع وبناء القرآن الكريم لها

الفصل الثالث: طرق وأساليب الإقناع في القرآن الكريم

الفصل الرابع: خصائص الإقناع

الفصل الخامس: أثر منهجية القرآن الكريم في الحياة العلمية والعملية

الخاتمة

الإهــداء

إلى الرحمة المهداة، إلى طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان، إلى سيد الخلق وحبيب الرحمن، صلوات ربي وسلامه عليك.

وا ٍلى روحـَي من كانا سبباً في وجودي(والدي ّ) الطاهرتين وا ٍلى الروح الغالية التي غيبتها الأيام، ولم تغب في القلوب والأذهان، إلى روح فلذة كبدي (عمرو) الطاهرة.

إلى شفاء العليل وا ٍرواء الغليل، الحبيبة الغالية (ابنتي المهندسة تسنيم)

إلى زهرتي بستاني ومنهل الحب الصافي ابني ّ الحبيبين (أحمد وسيف)

حفظهم الله ورعاهم ومن كل شر ّ وقاهم

وا ٍلى إخوتي وأخواتي.... وأساتذتي.... وجامعتي....ومن ساندني وشد ّ من أزري.... إلى أصحاب الفضل علي ّ ....حباً ....وتقديراً ....وعرفاناً

أهدي ثمرة تعبي وخلاصة جهدي

الباحث

شكر وتقدير وعرفان

الحمد والشكر أولاً وآخراً لله ذي الفضل والمنّة على نعمائه التي لا تحصى ولا تعد، أسأله سبحانه وتعالى أن يمنّ عليّ بفضله ويسبغ عليّ هدايته وتوفيقه لطاعته، وأن يهب لي القدرة على أداء حقها وشكرها، ومن شكر الله تعالى الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، ولأهل الجود والكرم بكرمهم وجودهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، ولقوله صلّى الله عليه وسلّم:"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[2].

وبعدُ: فإنّه يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان، ووافر التقدير والامتنان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور (محمد أحمد محمود سرحان) لتفضله بالإشراف على أطروحتي، وبذله كل ما في وسعه من جهد وعصارة فكر مرشداً ناصحاً وأميناً مخلصاً، حيث أعطاني من علمه الغزير ووقته الثمين، فتابعني بكل كلمة وعبارة بهمّة الأبطال وعزيمة الرجال وتواضع العلماء، وأحسب أنّي لن أوفّيَه حقّه مهما سطر القلم، فجزاه الله خير الجزاء عن العلم وأهله.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة أطروحتي وتقويمها، وبيان عثراتي وزلة قلمي، فجزاهم الله خير الجزاء.

ولا أنسى أساتذتي في جامعة اليرموك عامة وكلية الشريعة خاصة، الذين تلقيت على أيديهم العلم، ونهلت من ينابيعهم الثرّة، فكانت أطروحتي هذه ثمرة من ثمار غرسهم، وكأس ماء من معين فيضهم، فلهم منّي كل حبّ وتقدير وعرفان.

[1] سورة لقمان آية 12.
[2] أخرجه أحمد في مسنده (2/ 302,388)، حديث رقم (8006)، (9022).

وأسأل الله أن ينزل سيلاً دائماً من رحماته وفيضاً من غفرانه إلى روح شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور نوح علي سلمان القضاة الذي كان سبباً في دراستي للعلم الشرعي، رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك جنات الخلد في زمرة الحبيب صلّى الله عليه وسلّم.

وأسأل الله العظيم أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منّي وينفعني به وجميع المسلمين،ويجعله شفيعاً لي ولوالديَّ ومشرفي

{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[3]،

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

[3] سورة الشعراء الآيتان 88-89.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

"منهجية القرآن الكريم في الإقناع"

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، ويدفع عنا بلاءه ونقمه، إنه سميع مجيب، وأصلي وأسلم على نبينا الكريم محمد بن عبد الله، الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أفضل صلاة وأتم تسليم إلى يوم نلقاه، وبعد:

فعنوان الدراسة هو:

منهجية القرآن الكريم في الإقناع

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الخالد والمعجزة الكبرى التي تمتاز على سائر المعجزات بأبديتها، فهو معجز بألفاظه ومعانيه وأساليبه وتراكيبه، وأحكامه وتشريعاته وأخباره، وقد سلك من أجل تصديق دعوته وتثبيت شريعتهطرقاً عدة في الإقناع بالحجة والبرهان بأسلوبٍ معجزٍ .

ومن هنا فقد رغبت في أن تكون أطروحتي لرسالة الدكتوراة (منهجية القرآن الكريم في الإقناع).

راجياً من الله التوفيق والسداد

منهجية الدراسة:

هذا العلم من العلوم التي تحتاج إلى استخدام المنهج الاستقرائي، الاستنباطي، حيث سأتحدث عن منهجية القرآن في الإقناع، مستخدماً في الوقت نفسه المنهج الموضوعي في التفسير من خلال دراسة الآيات التي تشترك في موضوع البحث.

حدود الدراسة:

الآيات التي تتضمن منهجية الإقناع في القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية، للخروج بموضوعٍ شاملٍ ومتكاملٍ من خلال الكتاب العزيز.

أسئلة الدراسة:

- ما المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في إقناع المخاطبين؟

- ما الخصائص التي يتميز بها هذا المنهج؟

- ما الأسس التي يقوم عليها المنهج؟ وما الوسائل والأهداف لهذا المنهج؟

الدراسات السابقة لمنهجية الإقناع في القرآن الكريم:

1- الإقناع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، الدكتور: خالد حسين حمدان الحدري.

2- وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني في ضوء القرآن والسنة النبوية، الدكتور عدنان محمود الكحلوت.

3- أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة "الفرقان، بن عيسى عبد القادر باطاهر؛ إشراف محمد بركات حمدي أبو علي، (ماجستير)، الجامعة الأردنية 1990.

4- أدب الخطاب في القرآن الكريم (ماجستير) الباحث: عبد الرحمن سعود إدريس ابداح 2011م.

ومن خلال هذه الكتب والرسائل تبين أن أصحابها لم يتطرقوا إلى الموضوع بشكل كامل وا ٕنما لجزيئات منه، وهذا الذي دفعني للكتابة به وبشكل واسع ومفصل بإذن الله تعالى، حيث سأقوم بإبراز جوانب عديدة لهذا الموضوع في دراستي، والله ولي ذلك والقادر عليه.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

تتمثل أهمية الموضوع في الأمور التالية:

-كونه دراسةً موضوعيةً من خلال القرآن الكريم نفسه.

- تجلية منهج الإقناع في القرآن الكريم.

- إبراز خصائص هذا المنهج وأهدافه.

- إبراز أسلوب القرآن المعجز في الإقناع والاستدلال.

- الوقوف على طرق الإقناع ووسائله في القرآن الكريم.

خطة البحث:

الفصل الأول: إرساء القرآن الكريم للمنهجية

معنى المنهج.

المراد بمنهجية القرآن الكريم.

المطالبة بالدليل.

إيقاظ الفطرة.

توجيه العقل.

إنصاف الخصم.

الفصل الثاني: أسس الإقناع وبناء القرآن لها

الحكمة والموعظة الحسنة.

استخدام الوجه الأيسر والمقدمات المشهورة.

خطاب الإنسان بجانبيه (العقل والعاطفة).

السعة والمرونة.

براعة الأسلوب المعجز.

الفصل الثالث: طرق وأساليب القرآن الكريم في الإقناع

الإقناع بالحوار والجدل.

الإقناع بالأمثال والقصص.

الإقناع بالقسم.

الفصل الرابع: أثر منهجية القرآن الكريم في الإقناع في الحياة العلمية والعملية.

تحرير العقل من التقليد على غير هدى ً من العقل.

هدم العقائد الباطلة.

بناء العقيدة الصحيحة.

بناء المجتمع المثالي في المدينة المنورة.

الفصل الخامس: خصائص الإقناع

تصريف ألوان البيان.

السهولة واليسر.

إيقاظ الفطرة وا ٍقناع العقل.

بلاغة الإقناع والأسلوب المعجز.

الخاتمة:

تتضمن الخاتمة النتائج والتوصيات

الفهارس .

المصادر والمراجع.

مناقشة الأبحاث والكتب السابقة:

بالنسبة لبحث الدكتور خالد الحدري، فإنه بحث لا يتجاوز 30 صفحة ولم يفِ بالغرض المطلوب.

1- فهو لم يتطرق لآي الكتاب العزيز والقصص التي فيها أساليب الإقناع وإنما كان يبحث بأسلوب المناطقة والفلاسفة فقط،ولم يذكر مثالاً واحداً من القرآن الكريم يؤيد بحثه.

2- الأسس التي بنى عليها بحثه لم تكن وافية كافية، إنما اختارها بطريقة عشوائية، وقد ذكر أربعة أسس فقط، وهي كما يلي:

الأسس التي يقوم عليها الإقناع:

أولاً : يسر الدين في مضمونه، ووضوحه في لفظه ومعناه.

ثانياً : الثراء والتنوع والتطور.

ثالثاً : المنطق السليم والاستناد إلى البرهان.

رابعاً : الإقناع بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن.

اعتذاره في نهاية بحثه من خلال توصياته بعدم معرفة أسس ووسائل الإقناع، إن ما سبق ذكره، وما تم عرضه وبيانه، يعد نماذج موجزة لموضوع الإقناع، وإن التفكير المتواصل والعمل الدعوب قد ينبثق منهما أساليب كثيرة، ووسائل عديدة، تفوق ما سبق ذكره بمراحل.

وأما بالنسبة لبحث الدكتور عدنان الكحلوت، فإنه يتكون من ثلاثعشرة صفحة، تحدث فيها عن منطلقات الدعوة إلى الله تعالى وهي:

الداعية إلى الله تعالى ينطلق في خطابه الدعوي من ثلاثة منطلقات:

الأول: دعوة الناس كافة لأنها رسالة عالمية، إلى مختلف الأجناس والألوان والبلاد،

لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ}(1).

الثاني: يدعو إلى الإسلام كله بشموليته، لا يترك شيئاً منه، ضمن فقه الأولويات.

الثالث: يدعو إلى الإسلام بكافة الوسائل والأساليب الممكنة الحديثة والقديمة.

ثم تحدث بإيجاز عن وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني للمسلمين.

الوسيلة الأولى: الدعوة بالقدوة.

الوسيلة الثانية: الدعوة بالقول.

الوسيلة الثالثة: الدعوة بالكتابة.

وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني لغير المسلمين.

الوسيلة الأولى: الدعوة بالخلق الحسن.

الوسيلة الثانية: الدعوة بالقول.

الوسيلة الثالثة: الدعوة بالكتابة.

ومن خلال بحثه وجدت أنه لم يعط الموضوع حقه، ولم يتعرض لآيات القرآن الكريم المبينة والموضحة لأساليب القرآن الكريم وأهدافه وإنما ذكر وسائل حديثة كالتلفاز والمذياع والرسائل وغيرها.

---

(1) سورة سبأ آية 28.

وأما رسالة بن عيسى عبد القادر فكانت رسالة بيانية بلاغية، ذكر فيها بعض أساليب الإقناع ولكنه ركز على الجانب البلاغي، وأساليب التوكيد والاستفهام والتكرار والحذف وغيرها، مستعينا بكتب دلائل الإعجاز والبرهان والإتقان وغيرها من كتب علوم القرآن والبلاغة.

وأما بالنسبة لرسالة عبد الرحمن ابداح (أدب الخطاب في القرآن) فإنها اشتملت على المواضيع التالية:

1- فضائل أدب الخطاب.

2- أدب الخطاب مع الله جل وعلا.

3- أدب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم.

4- أدب الخطاب مع المؤمنين.

5- أدب الخطاب مع الكافرين.

6- جهل الكفار بأدب الخطاب.

7- أمثلة تطبيقية لأدب الخطاب (مؤمن آل فرعون، مؤمن آل ياسين، خطاب الهدهد، خطاب النملة).

وبهذا يتبين أنمّا ذُكر من الجهود والدراسات السابقة غير كافٍ ، بل يسوِّغ للباحث أن يقتحم هذا الموضوع لتدارك النقص، واستيفاء العديد من الجوانب التي لم تُطرق.

الفصل الأول: إرساء القرآن للمنهجية

المبحث الأول: معنى المنهج

المطلب الأول: تعريف المنهج والمراد بمنهجية القرآن

المطلب الثاني: المطالبة بالدليل والدلالة والاستدلال والفرق بينها

المبحث الثاني: إيقاظ الفطرة، توجيه العقل، إنصاف الخصم

المطلب الأول: إيقاظ الفطرة

المطلب الثانيتوجيه العقل وا ٍنصاف الخصم

الفصل الأول: إرساء القرآن للمنهجية

المبحث الأول: معنى المنهج

المطلب الأول: تعريف المنهج والمراد بمنهجية القرآن

تعريف المنهج.

المنهج لغة: قال ابن منظور: طريق نهج، بيّن واضح، وهو النَّهج ُ .

والمنهاج: كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[1].

وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيِّناً، والمنهاج: الطريق الواضح.

واستنهج الطريق: صار نهجاً[2].

من خلال المعنى اللغوي نجد أن الكلمة تدل على الطريق الواضح والأسلوب البيّن.

المنهاج لغة: أصل المنهاج الطريق البينّ الواضح، يقال منه: هو طريق نهج ومنهج بين[3].

أخرج الطستي[4] عن ابن عباس، أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾، قال: الشرعة الدين والمنهاج الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك، قال: نعم أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

---

(1) سورة المائدة آية 48.

(2) ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري/ لسان العرب دار صادر – بيروت الطبعة الأولى، ج2 ص 383.

(3) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان في تفسير القرآن (224 – 310) الناشر: دار هجر، ج8ص493.

(4) الطستي: عبد الصمد بن علي(أبو الحسين) البغدادي، المتوفى سنة 346هـ قال الذهبي في السير(المحدث، الثقة، المسند)

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيَّن لنا الإسلام ديناً ومنهاجاً

يعني به النبي صلى الله عليه وسلم[1].

المراد بمنهجية القرآن:

قلتُ : إن المنهج هو الأسلوب والطريقة، ومنهج القرآن طريقته وأسلوبه في عرض قضيته وتثبيت دعوته، هذا المنهج الذي نقل العرب نقلةً نوعيةً، حيث جعل الأمة العربية خير أمةٍ أخرجت للناس، يدعون إلى الخير والمعروف ويأتمرون به، وينهون عن المنكر وينأون عنه، ويؤمنون بالله رباًوبالإسلام ديناً وبمحمد صلّى الله عليه وسلّم نبياً ورسولاً ، متحابين متآخين تربطهم روابط الإسلام، بعدأن كانوا قبائل متفرقة متناحر ة، لا نظام لهم ولا قانون يحكمهم.

---

(1) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر/ الدر المنثور في التفسير بالماثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر – مصر، سنة النشر: 1424هـ. 2003م، ج5 ص343.

المطلب الثاني: المطالبة بالدليل والدلالة والاستدلال والفرق بينها

المطالبة بالدليل:

القرآن الكريم يطالب المخالفين بالدليل قال: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[1].

البرهان هنا: الدليل الذي يوقع اليقين، وجمعه براهين.

ونقل القرطبي عن الطبري قوله: طلب الدليل هنا يقضي إثبات النظر ويرد على من ينفيه[2].

قال الآلوسي: والبرهان: الدليل على صحة الدعوى، وقوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[3]. جملة شرطية جواب شرطها محذوف دل عليه ما قبله، وأفهم التعليق أنه لا بد من البرهان للصادق ليثبت دعواه، وعلل بأن كل قول لا دليل عليه غير ثابت عند الخصم فلا يُعتد به، ولذا قيل:

من ادَّعى شيئاً بلا شاهد لا بد أن تبطل دعواه[4].

الدليل: ما يستدل به، والدليل الدال أيضاً[5] والجمع أدلة وأدلاّء، والاسم الدلالة.

وعرفه الراغب الأصفهاني بأنَّه: (ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى،

---

(1) سورة البقرة آية 111.

(2) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي/ الجامع لأحكام القرآن تحقيق سمير البخاري، الناشر دار عالم الكتب/السعودية، طبعة"1423هـ/ 2003م، ج2ص75. وهذا القول لم أجده في تفسير الطبري.

(3) سورة البقرة آية 111.

(4) الآلوسي: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت سنة الطبع: 1415 هـ تحقيق: على عبد الباري عطية ج1 ص 358¸359. وأما بيت الشعر فلم أقف على قائله، ولم أجد من عزاه إلى قائله

(5) الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر/ مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995، مادة دل ص209.

ودلالة الإشارة والرموز والكتابة والعقود في الحساب)[1].

وعرفه الباقلاني: بأنه المرشد إلى معرفة الغائب عن الحواس، وملا يُعرف باضطرار، وهو الذي يُنصب من الأمارات ويورد من الإشارات ما يمكن التوصل به إلى معرفة ما غاب عن الضرورة والحس[2].

وللدليل تعريفات عند الأصوليين والمتكلمين وعلماء المنطق.

فعند الأصوليين يراد به ما وصل إلى المطلوب قطعاً، فلا يشمل الأمارة.

وعند علماء المنطق هو المقدمات المرتبة المنتجة للمطلوب.[3]

وأما المتكلمون فقسموه إلى قسمين:

1- دليل عقلي: وهو ما لا يتوقف شيء من مقدماته القريبة أو البعيدة على النقل والسمع.

2- دليل نقلي: وهو ما يتوقف شيء من مقدماته القريبة أو البعيدة على النقل والسمع من الصادق[4].

ومن المعلوم أنّ الإخبار إن كان من الإنسان على نفسه فهو إقرار، ومن النفس على آخر تكون دعوى وإن كانت من الغير على الغير تكون شهادة، والبينة على من ادَّعى.

---

[1] المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 171.

[2] الباقلاني: محمد بن الطيب/ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- لبنان، سنة النشر: 1407هـ - 1987م ص33,34.

[3] زهير: أ.د محمد أبو النور/ أصول الفقه، دار المدار الإسلامي-بيروت،2004، ج1ص100.

[4] التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله/ شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية- باكستان، ج1ص39.

{يَاأَيُّهَاالَّذِ ينَ آمَ نُواكُونُواقَوَّامِ ينَ بِالْقِسْطِ شُهَ دَ اءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِ كُمْ أَوِ الْوَالِدَ يْنِ وَالْأَقْرَ بِينَ إِنْ يَ كُنْ غَنِ يّاً أَوْ فَقِ يراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَ ا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْ دِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْ رِضُ وا فَإِنَّ اللَّهَ كَ انَ بِمَ ا تَعْ مَلُونَ خَ بِيراً }[1].

ولما كان الكافرون يكذبون الرسول عليه السلام، مع أنهم كانوا يسمونه بالصادق الأمين، طالبهم القرآن الكريم بالدليل أو البينة، فقال سبحانه: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَ ادِ قِينَ }[2]. كماطالبهم بالنظر وا ٍعمال العقل، فقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِ دَ ةٍ أَنْ تَقُومُ وا لِلَّهِ مَ ثْنَى وَ فُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَ دِيدٍ }[3].

وفي الوقت نفسه يخاطب النبي عليه السلام بقوله تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }[4]، أي أنهم لا يملكون دليلاً على تكذيبك يا محمد، إنما هم مجرد منكرين مع علمهم بصدقك، وهذا معنى الجحود.

وفي موضع آخر يأتي بالردّ على الدهريين الذين يستبعدون البعث بغير دليل، يبين القرآن الكريم أن استبعادهم استبعاد سلبي لا يستند إلا إلى الظن، والظن لا ينفع في مجال العقيدة، و{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }[5].

---

[1] سورة النساء آية 135.

[2] سورة الأنبياء آية 24.

[3] سورة سبأ آية 46.

[4] سورة الأنعام آية 33.

[5] سورة الجاثية آية 24.

الدلالة والاستدلال والفرق بينهما:

أما الدلالة: فهي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والشيء الثاني هو المدلول[1].

وأما الاستدلال: فهو إيراد الدليل لدعم القضية، سواء أكان بطلب من المخالف أم استطراداً من المستدل.

والفرق بينهما: أن الدلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستدل[2].

والدليل هو فاعل الدلالة، ويأخذ طابع الإلزام إذا استخدم في مورده، وسلم تركيبه من التناقض والاختلاف.

---

(1) الجرجاني: علي بن محمد بن علي/ التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1405 ص 92.

(2) العسكري: أبو هلال/ الفروق اللغوية، ص61.

المبحث الثاني: إيقاظ الفطرة، توجيه العقل، إنصاف الخصم

المطلب الأول: إيقاظ الفطرة

اعتمد القرآن أيضاً في إرساء المنهجية على موضوع آخر، من الأهمية بمكان مكين هو إيقاظ الفطرة، حتى تعود إلى ما خلقها الله عليه، مجبولة على قبول الإيمان والتوحيد، حيث يقول سبحانه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ }[1].

الفطرة لغة:الفطرة من فطر يفطر فطراً وفطرةً ، فالفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه، من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء،وا إلى ما يصيرون عليه عند البلوغ، والفاطر المبتدئ[2].

وقيل الفطرة هي الخلقة والجبلّة.

أصل الفطر: الشق طولاً يقال فطر فلان كذا فطراً وانفطر انفطاراً {هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ }[3]، أي اختلال ووهي فيه، وذلك قد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصلاح، كقوله تعالى: {السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً }[4].

---

(1) سورة الروم آية 30.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج14ص25.

(3) سورة الملك آية 3.

(4) سورة المزمل آية 18.

وقد اختلف المفسرون في معنى الفطرة على أقوال متعددة منها:

1- الفطرة هي الدين القيم[1]، قال تعالى:{ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[2]. قاله الرازي والزمخشري وأبو السعود.

2- الإسلام: قاله أبو هريرة وابن شهاب، وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، محتجين بحديث: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[3].

والحديث عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا:"أَلا أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِتَابِ ؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ وَبَنِيهِ حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ وَأَعْطَاهُمُ الْمَالَ حَلالا لا حَرَامَ فِيهِ، فَجَعَلُوا مِمَّا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ حَلالا وَحَرَامًا ... عَلَيْهِمْ ... مَكَانَ ... ، وَأَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ... فَإِنِّي أُعْطِيكَ ... ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ ... وَرَجُلٌ ... ، وَأَهْلُ النَّارِ ...)[4].

---

[1]أبوعبيدة: معمر بن المثنى/ مجاز القرآن، مكتبة الخانجى–القاهرة، تحقيق: محمد فواد سزگين، ص59.

[2] سورة الروم آية 30.

[3]البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله(المتوفى: 256هـ)/ الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ– 1987م، ج2ص125.

[4] الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي/ المعجم الكبير، ج12ص339.

فيكون معنى الحديثين: أن الطفل خلق سليماً من الكفر، وعلى الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة، أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار[1].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الفطرة هي الإيمان نفسه، أي أن الناس مفطورون عليه، بدليل قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[2]، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}[3]، وحديث: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)[4].

حقيقة الفطرة: فطر الله الخلق،وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، فقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[5]. إشارة منه تعالى إلى ما فطر. أي أبدع وركز فيه من قوته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}[6]، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[7]، وقال

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج14 ص25.

[3] سورة الروم آية 30.

[4] سورة الأعراف آية 172.

[4] البخاري/ الجامع الصحيح، مرجع سابق، ج2ص125.

[5] سورة الروم آية 30.

[6] سورة الزخرف آية 87.

[7] سورة فاطر آية 1.

سبحانه: {قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}[1]، وقال جل وعلا: {وَالَّذِي فَطَرَنَا}[2]، أي أبدعنا وأوجدنا[3].

وقال الزمخشري: (فِطْرَتَ اللَّهِ)[4]، أي الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، والفطرة الخلقة، ألا ترى إلى قوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[5]، والمعنى أنه خلقكم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه، ولا منكرين له أبداً[6]. اهـ بتصرف

أما الذين قالوا إن الفطرة هي الدين نفسه أعني دين الإسلام، فدليلهم قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ}[7]، ودليلهم أيضاً حديث (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[8].

ومن هنا يعتبر فقهاء المسلمين أن كل مولود لا يصل إلى سن البلوغ يعد مسلماً، أو يعامل معاملة المسلمين حتى يبلغ[9].

---

[1] سورة الأنبياء آية 56.

[2] سورة طه آية 72.

[3] الراغب الأصفهاني/ المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 640.

[4] سورة الروم آية 30.

[5] سورة الروم آية 30.

[6] الزمخشري: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي . بيروت ج3 ص479.

[7] سورة الأعراف آية 172.

[8] البخاري/ الجامع الصحيح، مرجع سابق، ج2ص125.

[9] انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ج4 ص499، رقم الفتوى(20458)، إشراف د. عبد الله الفقيه.

ونرى إيقاظ الفطرة فيما يصوره القرآن الكريم من مشاهد الفطر عند اليأس أو المحنة التي قد يتعرض لها الإنسان،عندئذٍ نرى الفطرة وقد عادت مؤمنة مجبولة على الخلقة التي خلقها الله عليها، من ذلك أمر الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام بأن يخاطب الفطرة في نفوس الناس لإثبات أن التوحيد موجود في فطرهم وقد جُبلوا عليه، فقال تعالى:{ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ }[1]، والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المنكرين وذكرهم بما هو موجود في فطرهم من التوحيد لله والاستقامة له.

أرأيتم أنفسكم إن جاء العذاب كما حل بالأمم السابقة أو جاءت الساعة بأهوالها وعذابها، هل ترجعون إلى الله تعالى أو ترجعون إلى أصنامكم...)[2].

ومن هنا استخدم القرآن الكريم الفطرة كدليل قاطع على وجوده سبحانه، حينما يكون الإنسان في ساعات الضيق والشدة، وتنقطع عنه كل الأسباب المادية،حينئذٍ تتعرى الفطرة عن كل ما لحق بها من فساد أو انحراف، وتبدو على طبيعتها التي خلقها الله عليها، ويعود الإنسان مؤمناً موحداً ، وذلك قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[3].

---

[1] سورة الأنعام الآيتان 40، 41.

[2] سرحان: أ.د. محمد أحمد محمود/ فتح الوهاب في علوم الكتاب، ص 68–69.

[2] سورة يونس الآيتان 22، 23.

المطلب الثاني توجيه العقل وإنصاف الخصم

أولاً: توجيه العقل:

العقل لغة: إدراك الأشياء على حقيقتها وعقل الغلام أدرك وميّز.

العقل من عقل يعقل عقلاً وعقالاً، وعقل الشيء أدركه على حقيقته، وعقل البعير ضم رسغ يده إلى عضده وربطهما معاً [1].

من هنا يتبيّن لنا أنّ العلاقة بين العقل وعقال البعير أن العقل يعقل صاحبه عن الاسترسال مع هوى النفس، كما يعقل العقالُ البعير عن الاسترسال فيما يريد من المرعى.

تعددت تعريفات العقل عند المتكلمين والفلاسفة وعلماء المنطق، فمنهم من قال: إن العقل هو التجربة، ومنهم من قال: إنه الماهية المجردة، وعند الجمهور هو الفطرة والملكة.

وعرفه الزمخشري والمعتزلة: ما يعرف به حُسْنُ الحسن وقُبح القبيح.

ومهما يكن من أمر الاختلاف، فإن العقل هو أداة التفكير وهو أعظم ما ميّز الله به الإنسان.

وقيل: إن العقل هو المدرك للأشياء على ماهي عليه من معانٍ.

وعرف الشيخ أبو الحسن الأشعري والأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني: أن العقل هو العلم بدليل، فلا يقال عقلت وما علمت، ولا يقال علمت وما عقلت، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

---

[1] مصطفى: إبراهيم، الزيات: أحمد، عبد القادر: حامد، النجّار: محمد/ المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، ج2، ص 616.

وذكر أبو العباس القلانسي أن العقل قوة التمييز، وعرفه المحاسبي: بأنه أنوار وبصائر[1].

اتفق أهل الحق على أن العقل كائن موجود ليس بقديم ولا معدوم، لأنه لو كان معدوماً لما اختص بالإنصاف به بعض الذوات دون بعض،وإذا ثبت وجوده فيستحيل القول بقدمه، إذ الدليل قد قام على أن لا قديم إلا الله تعالى، وقال الفلاسفة: في ماهية العقل بأن العقل قديم، ومنهم من قال: بأنه جوهر لطيف في البدن ينبت شعاعه منه بمنزلة السراج في البيت يُفصل به بين حقائق المعلومات. ومنهم من قال: بأن العقل جوهر بسيط غير مركب.

ويُرد على مَنْ قال بأن العقل جوهر بأن هذا القول مردود حيث إنه ليس كل جوهر عقلاً ليكون العقل جوهراً [2].

محلّ العقل: اختلفوا أيضاً في محل العقل فقالت طائفة من الفلاسفة: بأن العقل محله الدماغ، لأن الدماغ محل الحس، وقالت طائفة أخرى: بأن محله القلب، لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس.

لكن العقل وهو مناط التكليف وأعظم ما ميّز به الخالقُ سبحانه وتعالى الإنسان، له حدوده وله مجاله، وقد أمرنا القرآن الكريم أن نستخدم عقولنا فيما للعقل فيه مجال، أما الأمور السمعية فليست تعرف إلا بطريق النقل ولا مجال للعقل فيها، وفي الوقت نفسه العقل أصل النقل لأننا آمنا بعقولنا وتلقينا النقل بعقولنا، فترى القرآن الكريم في مواضع كثيرة يوجه العقول ويلفت الأنظار مثلاً إلى الكون وما فيه من خلقٍ وإبداع وعناية ونظام وترابط وتكامل بين أجزائه، ليتوصل العقل من خلال المخلوق إلى الخالق، ومن السبب إلى المسبب، قال تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ

---

[1] القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص371.

[2] القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 370-371.

النَّاسِ وَ مَ أَنْزَ لَ اللَّهُ مِنَ السَّمَ َ اءِ مِنْ مَ اءٍ فَأَحْ يَ ا بِهِ الْأَرْ ضَ بَ عْ دَ مَ وْ تِهَ ا وَ بَ ثَّ فِيهَ ا مِنْ كُ لِّ دَ ابَّةٍ وَ تَ صْ رِ يفِ الرِّيَ احِ وَ السَّحَ ابِ الْمُ سَ خَّرِ بَ يْنَ السَّمَ اءِ وَ الْأَرْ ضِ لَآَ يَاتٍ لِقَوْ مٍ يَ عْ قِ لُونَ }(1)، وقال سبحانه: {أَفَلَا يَ نْظُرُ ونَ إِلَى الْإِبِلِ كَ يْ فَ خُلِ قَتْ وَ إِلَى السَّمَ اءِ كَ يْ فَ رُفِ عَ تْ وَ إِلَى الْجِ بَ الِ كَ يْ فَ نُصِ بَ تْ وَ إِلَى الْأَ رْ ضِ كَ يْ فَ سُطِ حَ تْ }[2]، وقوله تعالى: {قُلِ انْظُرُ وا مَ اذَا فِي السَّمَ اوَ اتِ وَ الْأَ رْ ضِ وَ مَ ا تُغْنِي الْآَ يَاتُ وَ النُّذُرُ عَ نْ قَوْ مٍ لَا يُؤْمِ نُونَ }[3].

ويظهر تقدير القرآن الكريم للعقل في ورود الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعاً ،وقد حذر الشارع الكريم من كل ما يحجر على العقل أو يـُقيد حركته، ويتمثل ذلك في ثلاثة أمورٍ تسمى موانع العقل، وهي:

أولاً: التقليد على غير هدىً من الشرع الحكيم أو التفكير الرشيد.

وكان هذا هو السبب في جمود الكافرين وتمسكهم بعقائدهم الباطلة،ويدل على هذا قوله جلّ شأنه عنهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }[4].

(اختلف العلماء في الضمير في قوله: لَهُمُ على ثلاثة أقوال أحدها: إنه عائد على (من) في قوله: {مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً }[5]، وهم مشركو العرب، وثانيها: يعود على (الناس)

---

(1) سورة البقرة الآية 164.

(2) سورة الغاشية الآيات 17-20.

(3) سورة يونس الآية 101.

(4) سورة البقرة آية 170.

(5) سورة البقرة آية 165.

في قوله: {يأَيُّهاالنَّاس } [1]، فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة على طريق الالتفات مبالغة

في بيان ضلالهم، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون. وثالثها: قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وذلك حين دعاهم رسول اللّه إلى الإسلام، فقالوا: نتبع ما وجدنا عليه أباءنا، فهم كانوا خيراً منّا، وأعلم منّا، فعلى هذا الآية مستأنفة، ثم حكى اللّه تعالى عنهم أنهم قالوا: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}[2].

وأنها نزلت في قوم من اليهود قالوا ذلك، إذ دعوا إلى الإسلام، كما أخرج الطبري في تفسيره قال: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذرهم عقاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فإنهم كانوا أعلم وخيرًا منا! فأنزل الله في ذلك من قولهما، {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا}[3]، وأما تأويل قوله:"اتبعوا ما أنزل الله"، فإنه: اعملوا بما أنزل الله في كتابه على رسوله، فأحِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه، واجعلوه لكم إمامًا تأتمون به وقائدًا تتبعون أحكامه[4].

أَلْفَيْنَا بمعنى وجدنا، بدليل قوله تعالى في آية أخرى: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}[5].

ومعنى الآية: أن اللّه تعالى أمرهم بأن يتبعوا ما أنزل اللّه من الدلائل الباهرة، فقالوا: لا

---

[1] سورة البقرة آية 21.

[2] سورة البقرة آية 170.

[3] سورة البقرة آية 170.

[4] أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي/جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م ج3ص306.

[5] سورة لقمان آية 21.

نتبع ذلك وإنما نتبع آباءنا وأسلافنا، فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد، وأجاب اللّه تعالى عنهم بقوله: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}[1].

وهنا دخلت همزة الاستفهام على واو العطف للتوبيخ والتقريع وإنما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ، لأنها تقتضي الإقرار بشيء يكون الإقرار به فضيحة، كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه.

وتظهر لنا مسألة في التقليد من خلال تقرير هذا الجواب بحيث يقال للمقلد: هل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يُعلم كونه محقا أم لا؟ فإن اعترفت بذلك لم نعلم جواز تقليده إلا بعد أن تعرف كونه محقا، فكيف عرفت أنه مُحِقٌّ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل وإن عرفته بالعقل فذاك كاف، فلا حاجة إلى التقليد وإن قلت: ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محقاً، فإذن قد جوزت تقليده وإن كان مبطلا فإذن أنت على تقليدك لا تعلم أنك مُحِقٌّ أو مبطل.

هب أن ذلك المتقدم كان عالما بهذا الشيء إلا أنا لو قدرنا أن ذلك المتقدم ما كان عالما بذلك الشيء قط، وما اختار فيه البتّة مذهبا، فأنت ماذا كنت تعمل؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه كان لا بد من العدول إلى النظر فكذا ها هنا.

فإذا قلدت من قبلك، فذلك المتقدم كيف عرفته؟ أعرفته بتقليد أم بغير تقليد؟ فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل وإن عرفته بلا تقليد بل بدليل، فإذا أوجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد، لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل، مع أن ذلك المتقدم طلبه

---

[1] سورة البقرة آية 170.

بالدليل لا بالتقليد كنت مخالفا له، فثبت أن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلا)[1].

فالتقليد للآباء والأجداد والانخداع بالعرف الفاسد أمر يـُحذر منه القرآن الكريم،ويـُشدد النكير على من يـُلغون عقولهم لسبب العصبية والتقليد الأعمى.

ثانياً : إتباع السلطة الدينية الزائفة التيعيهَّا مـ َن ْ لا علم له.

أشار القرآن الكريم في غير ما موضع إلى أهل الكتاب الذين ضللهم بعض الأحبار والرهبان، الذين بدّلوا الدين وحرّفوا كلام الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }[2].

والأخطر في هذا الشأن أن أصحاب السلطة الدينية الزائفة لا يحجرون على العقول فحسب، وإنما يتجاوزون الحجر على العقول إلى الحجر على القلوب،لما يضفونه من قداسةٍ على ما حرفوه ويدلوه، ثم بعد ذلك يقول قائلهم: (الغ عقلك واتبعني)[3]وهذا هو السرّ في تقبل كثير من أتباعهم لما في هذه التعاليم من خرافات وأباطيل، إنهم يـُلغون عقولهم.

---

[1] الرّازي: الإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين/ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى . بيروت ج5ص188–189.

[2] سورة البقرة الآيتان 78، 79.

[3] لم أقف عليه لكنّه من كلام زعماء الكفر والشرك، حتى يأسروا عقول أتباعهم ويمنعونهم من اتباع الصراط المستقيم، كما قال تعالى في سورة غافر آية (29)، حكاية عن فرعون:{مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ }.

ثالثاً : الخوف المهين من بعض أصحاب السلطة الدنيوية المستبدين بآرائهم.

نعى القرآن الكريم على فرعون استبداده واستخفافه عقولَ قومه، وذلك في قوله تعالى:

{ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }[1].

فإن فرعون لا يكتفي باحتكاره لنفسه حق التفكير، بل يريد أن يقنع قومه ويوهمهم بأنه لا يقول إلا الحق وا نه يهدي إلى سبيل الرشاد.

وفي مقابل ذلك يُشيد القرآن الكريم بتلك الملكة العاقلة غير المستبدة، التي عمدت إلى إشراك مَنْ حولها في الرأي وأوضحت أنها لن تتخذ قرارها بمفردها، وذلك في قوله تعالى: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ، قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }[2].

ولأن هذه المرأة أعملت عقلها وفكرت التفكير الصحيح، آمنت بربها وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

فالخوف وعدم الأمن الفكري يمنع العقول من التفكير الصحيح، ويُعوق مسيرة الأمم الناهضة، وعلماء النفس يشيرون إلى أن حاجات الإنسان تشبه مُدرجاً هرمياً، أعلى هذه الحاجات فيه هو الأمن، فبدونه لا يفكر عقل ولا تصلح أمه.

[1] سورة غافر آية 29.

[2] سورة النمل الآيات 32-33.

ومن هنا يعبر القرآن أو يؤكد في غير ما موضع أن العقل هو مناط التكليف، ويأمر المخالفين بالتدبر وا ِعمال عقولهم، ومن ذلك قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم ْ احِ دَ ةٍ أَن تَ قُومُ وا لِلَّهِ مَ ثْنَى و َ فُرَ اد َى ثُمَّ تَتَفَكَّرُ وا مَ ا بِصَ احِ بِكُم مِّ ن جِ نَّةٍ إِنْ هُ وَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَ يْنَ يَ دَ يْ عَ ذَابٍ شَ دِ يدٍ }[1].

والدليل على أن الكافرين لا يريدون إعمال العقل، أنهم كانوا حريصين على منع الناس من سماع القرآن الكريم، كما جاء في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِ ينَ كَ فَرُ وا لَا تَسْمَ عُ وا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْ ا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِ بُ ونَ }[2].

وقد حاربوا القرآن بكل وسيلة، وصدُّوا الناس عن سماع تلاوته، حتى لا يعلق بأذهانهم شيء منه، كما قال تعالى عنهم: وَهُمْ يَنْهَ وْ نَ عَ نْهُ وَيَنْأَوْ نَ عَ نْهُ وَإِن يُهْلِ كُونَ إِلَّا أَنْفُسَ هُ مْ وَ مَا يَشْعُ رُ ونَ }[3].

وفي مقابل دعوة القرآن الكريم لهم إلى التفكر والتدبر كانوا يعمدون إلى السخرية والاستهزاء بالمؤمنين، قال تعالى: إِنَّ الَّذِ ينَ أَجْ رَ مُ وا كَانُوا مِنَ الَّذِ ينَ آمَنُوا يَضْحَ كُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَ زُ ونَ وَإِذَا انقَلَبُ وا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُ مْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَ مَا أُرْسِ لُوا عَ لَيْ هِمْ حَافِ ظِ ينَ }[4].

---

[1] سورة سبأ الآيه 46.

[2] سورة فصلت الآي' 26.

[3] سورة الأنعام الآية 26.

[4] سورة المطففين الآية 29–33.

ثانياً : إنصاف الخصم:

يعتمد القرآن الكريم فيما يعتمد على أساس مهم في جداله للمخاطبين، وهو إنصاف الخصم حتى يضع يده على الحقيقة. فنراه يأمر النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يقول للخصوم المنكرين: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[1].

فعلى الرغم من كفرهم وعنادهم، إلا أن القرآن الكريم يدعوهم إلى التفكر والتأمل، لأنه لا يمكن أن يكون الطرفان معاً على هدى ً ، ولا يمكن أن يكونا في ضلالٍ مبين، طرف فقط هو الذي معه الحق في الاعتقاد، كما أن القرآن الكريم يدعو إلى إعطاء كل ذي حقٍ حقه، بقطع النظر عن انتمائه أو هويته أو حتى عقيدته، ومهما كانت العداوة أو الخصومة فلا يدفعنا ذلك إلى الجور أو عدم الإنصاف والعدل، إذ يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[2]، أي لا يحملنكم بغضكم أو عداوتكم لبعض الناس على عدم إنصافهم أو عدم التزام العدل معهم، لأن الإنصاف مبدأ شرعي، وشريعة الإسلام هي شريعة العدل والإنصاف لجميع البشر، ويؤكد ذلك إنصاف القرآن الكريم لبعض اليهود في غير ما موضع أو مناسبة منها مثلاً ، قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}[3]، فقد ذكر الواحدي في أسباب النزول (أن رجلا من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث، سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت

---

(1) سورة سبأ الآية 24.

(2) سورة المائدة الآية 8.

(3) سورة النساء الآية 105.

الدرعٍ في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتُمِست الدرعُ عند طعمة فلم توجد عنده، وحلف لهم: والله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إليّ طعمةُ بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة، انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبُنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل – وكان هواه معهم – وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى – إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق – الآية كلها)، وهذا قول جماعة من المفسرين(1).

ومن الإنصاف أيضاً قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ }(2)، وقوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ }(3).

إن الله تعالى لما أمر بمجاهدة الكفار بيّن أن الأمر وإن كان كذلك لكنه لا تجوز الخيانة معهم ولا اتهامهم بما لم يفعلوا، وأن كفر الكافر لا يبيح المسامحة في ظلمه، بل الواجب في الدين أن

---

(1) النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد/ أسباب النزول الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ج1ص121.

(2) سورة آل عمران الآيات 113–115.

(3) سورة آل عمران آية 75.

يُحكَم له وعليه بما أَنزل الله على رسوله، وأن لا يلحق الكافرَ حيفٌ لأجل أن يرضى المنافق بذلك[1].

[1] الرازي/ مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج11ص211.

الفصل الثاني: أسس الإقناع وبناء القرآن الكريم لها

المبحث الأول: أسس الإقناع

المطلب الأول: الحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الثاني: استخدام الوجه الأيسر والمقدمات المشهورة

المطلب الثالث: خطاب الإنسان بجانبيه (العقل والعاطفة)

المطلب الرابع: السعة والمرونة

المطلب الخامس: براعة الأسلوب المعجز

الفصل الثاني: أسس الإقناع وبناء القرآن الكريم لها.

المبحث الأول: أسس الإقناع

تعريف الإقناع:

الإقناع لغة: من قنع الرجل يقنع قنوعا إذا سأل، بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل، ومنه قول الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغنى ... مفاقره أعف من القنوع

ويقنع قناعة فهو قنع، إذا تعفف واستغنى ببلغته ولم يسأل، مثل حمد يحمد- قناعة وقنعا وقنعانا، قاله الخليل[1].

ونقل القرطبي عن ابن السكيت قوله: من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة، وهي الرضا والتعفف وترك المسألة[2].

واصطلاحاً :عملية مقصودة من المـُقنع إلى من يريد إقناعه لتغيير معلومات أو مفاهيم أو صورة ذهنية باختياره ورضاه.

---

[1] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري(ت:671هـ)/الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وا ٍبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية–القاهرة، ط2، 1384هـ، ج12 ص64.

[2] القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج12 ص64.

اعتمد القرآن الكريم في إقناعه لخصومه على عدة أسس تمثل المنهج الذي يقوم عليه في ذلك. وسأعرض للأسس التي بناها القرآن الكريم لإقناع الخصوم والمعاندين، على النحو التالي:

الحكمة والموعظة الحسنة.

استخدام الوجه الأيسر والمقدمات المشهورة.

خطاب الإنسان بجانبيه العقل والعاطفة.

السعة والمرونة.

براعة الأسلوب المعجز.

المطلب الأول: الحكمة والموعظة الحسنة

أولاً – الحكمة:

الحكمة في اللغة: العلم مع العمل، وقيل: الحكمة يستفاد فيها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو، وقيل: هي وضع الشيء في موضعه، وقيل: هي ما له عاقبةٌ محمودة[1].

الحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب، قال الخليل: هو مأخوذ من الإحكام والإلزام، وقيل: هو مأخوذ حَكَمَة اللجام،[وهي حديدة توضع في فم الفرس، تمنعه من الجماح] لأنها تضبط الدابَّة، والحكمة تمنع من السفه[2].

ومنها أخذ (الحكيم)وهو اسم من أسماء الله تعالى، وكذلك ذو الحكمة والفيلسوف والطبيب حكماء، والذكر الحكيم القرآن لأنه الحاكم للناس وعليهم ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب[3].

---

(1) الجرجاني/ التعريفات مرجع سابق، ج1،ص123-124.

(2) الرازي/ مفاتيح الغيب، مرجع سابق ،ج2، ص14.

(3) مصطفى:إبراهيم، الزيات: أحمد، عبد القادر: حامد، النجار: محمد/ المعجم الوسيط،الناشر: دار الدعوة، مرجع سابق، ج1ص190.

الحكمة في الاصطلاح:

الحكمة: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية،وعرفها ابن القيم بأنها: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[(1)].

وقيل: الحكمةُ إصابةُ الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفته وفعل الخيرات[(2)]، قال تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[(3)].

هذه الآية نزلت بمكة، وقد أمر الله النبي عليه الصلاة و السلام أن يدعو قومه باللين واللطف دون مخاشنة ولا عنف، كما أمر موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون في بداية الأمر بقوله تعالى:{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[(4)].

لقد كان أمر الله جل وعلا لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس بأحد أمور ثلاثة: وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، والعطف هنا يقتضي التغاير والتباين وهذا يقتضي أن تكون الدعوة بطرقٍ وأساليب متغايرة متباينة.

---

(1) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي-بيروت، ج2 ص479.

(2) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني/ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج31 ص 512-513.

(3) سورة النحل، آية 125.

(4) سورة طه الآيتان 43-44.

يقول الشيخ الشعراوي: لماذا تحتاج الدعوة إلى الله حكمة؟

ويجيب: لأنك لا تدعو إلى منهج الله إلا مَن انحرف عن هذا المنهج، ومَن انحرف عن منهج الله تجده أَلِف المعصية وتعود عليها، فلا بُدّ لك أن ترفق به لتخرجه عما أَلِف، وتقيمه على المنهج الصحيح، فالشدة والعنف في دعوة مثل هذا تنفره، لأنك تجمع عليه شدّتين: شدة الدعوة والعنف فيها وشدة تركه لما أحب وما أَلِفَ من أساليب الحياة، فإذا سلكت معه مسلك اللين والرفق وأحسنت عرض الدعوة عليه، طاوعك في أن يترك ما كان عليه من مخالفة المنهج الإلهي(1).

والناظر إلى قصة موسى وهارون عليهما السلام، يرى العجب في أُمر الله لهما بدعوة فرعون الذي طغى وتجبر وعلا في الأرض، استضعف الرجال واستحيا النساء، وجعل الناس شيعا، ومع هذا كله فإن رب العزة يخاطب موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام بقوله لهما: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}(2)، لمن استخفّ عقول الناس فأطاعوه، ولمن ادعى الألوهية، وتجبر وظلم الناس، لقد وُجِّه الأمرُ إليهما أن يدعواه إلى الإسلام بالقول اللين ودون غلظة حتى يتفكر ويرى الحجج والآيات الدالة على أن هناك رباً خالقاً وإلهاً يعبد، وأنّ فرعون وإن علا في الأرض وأفسد فيها فإن مردّه إلى الله، فقولا له بلطف لعله يتذكر إذا ترك طغيانه وشراسة تفكيره وانغماسه في الشهوات، لعله يهتدي بفطرته إلى وجود الله المعبود بحقٍّ سبحانه وتعالى، أو يتذكر عالم الذّرّ والعهد المأخوذ عليه يوم أن قال

(1) الشعراوي: محمد متولي/تفسير الشعراوي، باب 125 ج1 ص 5071-5072.

(2) سورة طه آية 43-44.

ربنا: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }[1].

وهل تذكر فرعون أنه مخلوق ومولود وقد وُلد على الفطرة؟ وهل جرد نفسه من هواها؟ كلا، بل إنه أبى وتمرّد على أهل الأرض في زمانه، ومع ذلك جعل الحق سبحانه لغفلة فرعون مجالاً رغم أنه سبحانه يعلم أن فرعون سيموت على كفره وعناده وجحوده، لكن أمْره إلى موسى باللين والكلام اللطيف، إنما كان من أجل أن يأتي موسى إلى فرعون – وعنده ثقة بهدايته، لا يداخله يأسٌ من هداية المدعو– ولتكون لدى موسى طاقة كافية لمناقشة فرعون، وعرض الحجج والآيات وإقامة الحجة عليه، لقوله سبحانه:

{رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }[2].

الموعظة الحسنة:

الموعظة لغة: وعظه يعظه وَعْظاً وعِظَة: هو تذكيرك إياه الخير، والعظة الموعظة حين يُذكر الخبر. يقال: وعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظةً، واتّعَظ: تقبّل العظة وهو تذكيرك إيّاه الخير ونحوَه مما يرقُّ له قلبُهُ[3] والوَعْظ: النُّصح والتذكير بالعواقب. يُقال: السَّعيد من وُعِظَ بغيره والشَّقي من اتّعَظَ به غيره[4].

---

[3] سورة الأعراف آية 172.

[2] سورة النساء آية 165.

[3] الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد/ كتاب العين، دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ج2 ص228.

[4] الرّازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر/ مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، 1415 – 1995، ج1ص740، و العامي الفصيح، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج27ص4.

الموعظة في الاصطلاح:

قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُليِّن قلبَه من ثواب وعِقاب. وفي التنزيل {فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ}[1]، لم يجيء بعلامة التأنيث لأن تأنيث الموعظة غير حقيقي، أو لأن الموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال فمن جاءه وعظ من ربه[2].

وعظ اعتبر وجعل ما علمناه خالصاً لوجهه مُدنياً من رضاه،مبعداً عن غضبه[3].

فالموعظة الحسنة هي التذكير ترغيباً وترهيباً بما يليّن قلب المدعو واستمالته إلى الحق، دون غلظة أو فظاظة، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[4].

يُرسي القرآن الكريم أسس وقواعد ومبادئ دعوته، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم منهجها للرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم، وللدعاة من بعده بدينه القويم.

إن الدعوة التي جاء بها القرآن الكريم دعوة إلى سبيل اللّه وحده، ليست خاصة بشخص الداعي ولا بقومه، فالداعي يؤدي واجبه تجاه خالقه، فإن أحسن أسلوبه فيها فكان سبباً في هداية الناس كان هذا الداعي أمّةً وليس فرداً يوم القيامة، لأنه يأتي وفي صحيفته جميع

---

(1) سورة البقرة آية 275.

(2) ابن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل/ المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية سنة 2000م بيروت ج2 ص333-334.

(3) ابن جني: أبو الفتح عثمان/ سر صناعة الإعراب، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، 1985 تحقيق: د.حسن هنداوي ج1ص6.

(4) سورة آل عمران آية 159.

الذين اهتدوا وآمنوا على يديه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل المسلمين في صحيفة حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويكون كما أخبر رب العزة سبحانه عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام بقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[1].

فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه للّه، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة ولا على من يهتدون بسببه، وأجره بعد ذلك على اللّه[2]. اهـ بتصرف

ومن هنا كان للدعوة مراحل ثلاث، أُولاها: الدعوة بالحكمة من خلال النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبيّنه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، كما كان يفعل الرسول صلّى الله عليه وسلم، ففي الحديث عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ فَقُلْنَا أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا[3].

فينبغي أن تكون الطريقة التي يخاطب الناس بها متنوعة حسب ثقافات المخاطبين، فالحكمة هنا في تقديم الموضوع بأسلوب مميّز.

---

[1] سورة النحل آية 120–122.

[2] إبراهيم: سيد قطب/ في ظلال القرآن، دار الشروق. القاهرة، ج4 ص2202.

[3] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري/ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم الناشر: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة. بيروت، ج8ص142 ، رقم الحديث(7305).

وكذلك بالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتصل إلى المشاعر بلطف، دون زجر أو تأنيب أو اتهام لأي كان،لأن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وعلى الداعي أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، بلا تحامل على المخالف ولا استهزاء بكلامه وأن يصغي لما يقوله المدعو، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، والنفس البشرية لا تتنازل عن رأيها ومعتقدها إلا بالرفق واللين، حتى لا تشعر بالهزيمة. والجدل بالحسنى هو الذي يجعل النفس تتنازل عن كبريائها وتغطرسها في الباطل، فيشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، لأنه لا يرجو إلا الله تعالى.

{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[1] {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[2].

والآية تدل على أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا قُصد بها إظهار الحق[3].

وقد نقل صاحب روح البيان عن الشيخ السمرقندي في تفسيره للآية: أنها تنبيه على المدعوين للحق بأنهم فرق ثلاث.

---

(1) سورة النحل آية 125.

(2) سورة فصلت الآيتان 33-34.

(3) الاستانبولي: إسماعيل حقي/تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، ج5، ص 74.

فإن المدعوين إلى الله بالحكمة قوم وهم الخواص، وبالموعظة قوم وهم العوام، وبالمجادلة قوم وهم أهل الجدال وهم طائفة ذوو كياسة تميزوا بها عن العوام، ولكنها ناقصة مدنسة بصفات رديئة من خُبث وعناد وتعصب ولَجاج وتقليد ضال تمنعهم عن إدراك الحق وتهلكهم.

فليستعمل كلاً منها مع ما يناسبها، فإنه لو استعمل الحكمة للعوام لم يفد شيئاً، حيث لم يفهموها لسوء بلادتهم وعدم فطنتهم، وإن استعمل الجدال مع أهل الحكمة تنفَّروا منه تنفُّرَ الرجل من الإرضاع بلبن الطفل[1].

قلت: [الكلام هنا ليس على إطلاقه، فالحكمة تُستعمل مع الجميع، وفي كل وقت، وهي تشمل أموراً كثيرة، فقد تقتضي الحكمة الزجر والتأديب، كما تقتضي التلطف واللين، وقد تقتضي الترغيب فقط أو الترهيب فقط، أو الجمع بين الأمرين، وكل ذلك بحسب حال المدعوين].

وتكون دعوتك الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك بأن تحبب الله إليهم وترشدهم وتهديهم إلى الصراط المستقيم بحيث تكون لهم دليلاً بيّناً واضحاً حتى يصلوا إلى مراد الله، وهو الجنة التي وعد الله عباده المتقين.

فلو نظرنا إلى قصة إبراهيم عليه السلام مع والده في سورة مريم، نجد أسلوبا عجيباً في الدعوة إلى الله فيه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن، ما لا نجده في غير القرآن الكريم من أساليب الإقناع بالحجة والبرهان.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ

[1] روح البيان، مرجع سابق، ج5، ص 74.

عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}[1].

أورد إبراهيم عليه السلام الدلائل والنصائح، وصدر كلاً منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلب أبيه، وامتثالاً لأمر ربه، فابتدأ دعوته بالنداء {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}[2]، ثم كرر دعوته لأبيه إلى الحق فقال {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ}[3]، مخبراً أنه قد وصل إليه من العلم نصيب لم يصل إلى أبيه، وأنه قد حصل له من المعرفة التي يتوصل بها إلى الحق ما لم يكن لأبيه، ويقتدر بها على إرشاد الضال، ولهذا أمره باتّباعه فقال{فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا}[4]،مستوياً موصلاً إلى المطلوب منجياً من المكروه.ثم أكد ذلك بنصيحةٍ أخرى زاجرةً له عما هو فيه فقال: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}[5]، أي لا تطعه، فإن عبادة الأصنام هي من طاعة الشيطان، ثم علل ذلك بقوله: {إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا}[6]، حين ترك ما أمر به من السجود لآدم، ومن أطاع من هو عاصٍ لله سبحانه فهو عاصٍ لله، والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النعم وتحل به النقم. قال الكسائي: العصي والعاصي بمعنى واحد[7].

---

[1] سورة مريم الآيات 41-48.

[2] سورة مريم آية 42.

[3] سورة مريم آية 43.

[4] سورة مريم آية 43.

[5] سورة مريم آية 44.

[6] سورة مريم آية 44.

[7] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، ج4ص459.

وهنا يبين إبراهيم عليه السلام لوالده الباعث على هذه النصائح فقال: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ }[1]، قال الفراء: معنى أخاف هنا: أعلم، وقال الأكثرون: إن الخوف هنا محمول على ظاهره، لأن إبراهيم غير جازم بموت أبيه على الكفر، إذ لو كان جازماً بذلك لم يشتغل بنصحه، ومعنى الخوف على الغير: هو أن يظن وصول الضرر على ذلك الغير، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[2]، أي إنك إذا أطعت الشيطان كنت معه في النار واللعنة، فتكون بهذا السبب موالياً، أو تكون بسبب موالاته في العذاب معه، وليس هناك ولاية حقيقية لقوله سبحانه{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }(3)، وقيل: الولي بمعنى التالي، وقيل: الولي بمعنى القريب، أي تكون للشيطان قريباً منه في النار، فلما مرت هذه النصائح النافعة والمواعظ المقبولة بسمع آزر قابلها بالغلظة والفظاظة والقسوة، فقال: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا }[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يوحى به النص القرآني في لفظه وحركته الذي ينساب رقة ولطفاً على لسان إبراهيم عليه السلام، وكذلك ما توحي به الفاصلة (شيئا، وليا، عصيا)، كما نلاحظ الخشونة والفظاظة والقسوة التي قابل بها الأبُ ابنه إبراهيم عليه السلام.

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى الخطاب الذي أمر به النبي عليه السلام في مخاطبة المشركين ودعوتهم إلى الحق، في قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }[5]، أي تعالوا لنفترض أنكم على الحق، حيث يريد أن يضع أيديهم على الحقيقة حتى ينصاعوا ويهتدوا.

---

[1] سورة مريم آية 45.

[2] سورة مريم آية 45.

[3] سورة الزخرف آية 58.

[4] سورة مريم آية 46.

[5] سورة سبأ آية 24.

غاية الإنصاف والاعتدال والأدب في الجدال، أن يقول رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – للمشركين: إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى، والآخر لا بد أن يكون على ضلال، دون تحديد المهتدي منهما والضال، ليثير التدبر والتفكر في هدوء لا تأخذه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال فحسب، إنما هو هاد ومعلم، يبتغي هداهموا ٕرشادهم لا إذلالهموا ٕفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام، فالجدل بأسلوب اللين والتروي والهدوء، أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق[1].

---

[1] سيد قطب/ في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5ص2905.

المطلب الثاني: استخدام الوجه الأيسر والمقدمات المشهورة

يتجه القرآن الكريم إلى استخدام الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة:

ومن استخدام المقدمات المشهورة التي تصل إلى عقول المخاطبين من أقرب طريق، اتجاه القرآن الكريم إلى الكون كلهوما فيه من خلق وا بداع وا حكام ونظام وتكامل بين جميع أجزائه، وذلك للتعرف من خلال المخلوق على الخالق، والوصول من السبب إلى المسبب **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }**[1].

واتجاه القرآن الكريم إلى استخدام القياس الواضح الجلي في غير ما موضع للاستدلال على البعث، في قوله تعالى: **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ }**[2]**، وقوله تعالى:** **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }**[3]**، وقوله سبحانه:** **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }**[4]**، فهذا خطاب لمنكري البعث، أي أن الله عز وجل الذي خلق الإنسان من لا شيء قادر على إعادتهوهذا الأمر بمقياس العقل البشري يثبت أنّ الإعادة أسهل من البدء،**

---

(1) سورة البقرة آية 164.

(2) سورة الأعراف الآيتان 29-30.

(3) سورة الروم آية 27.

(4) سورة يس الآيتان 78-79.

وذلك قوله: ﴿وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]، وذلك على أن أفعل التفضيل: (أهون)، ليس على وجهه في التفضيل، بل على ما عهده الناس واستقر في أذهانهم أن الإعادة أهون من البدء، والله سبحانه يستوي عنده الأمران،وقوله جلّ وعلا: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[2]، أي مر على الإنسان مئات بل ألوف السنين لم يكن فيها شيئا، إنما أوجده الله من عدم.

وفي مقابل استخدام أو استعمال القرآن الكريم للوجه الأيسر واستخدامه للمقدمات المشهورة، نلاحظ أدلة المتكلمين التي في بعض الأحيان نراها ناقصة، فضلاً عن أنها تحمل كثيراً من التعقيلت والتفريعات التي تعقد الدليل وصَعّب إدراكَه.

ففي الاستدلال على وجود الله عز وجل، يقول القرآن الكريم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾[3]،هذه الآية على قصرها تصل بالمخاطب إلى المطلوب من أقصر طريق، وهي قاطعة في الاستدلال على الوجود الإلهي، لأنها افترضت ثلاثة افتراضات إما ان نكون قد خُلقنا من غير خالق، وهذا يحكم العقل بداهة ببطلانه،وإما أن نكون نحن الخالقين، وهذا يحكم العقل ببطلانه أيضاً ، فإذا بطل الاحتمال الأول والاحتمال الثاني تعيّن الافتراض الثالث وهو أنّ الخالق لنا جميعاً هو الله سبحانه وتعالى.

والاستدلال نفسه عند المتكلمين نراه في دليل ناقص، بل الدليل فيه يحتاج إلى دليل آخر في استدلالهم على وجود الله عز وجل، بقولهم: (العالم متغير– وكل متغير حادث– وكل

---

[1] سورة الروم آية 27.

[2] سورة الإنسان آية 1.

[3] سورة الطور الآيتان 35–36.

حادث لا بد له من محدث- وهذا المحدث هو الله فالمقدمة الأولى مسلمة، وهي قولهم: (العالم متغيّر)، والمقدمة الثانية وهي قولهم: (وكل متغيّر حادث) مسلمة لأنها تترتب عليها، والمقدمة الثالثة وهي قولهم: (وكل حادث لا بد له من محدث) مسلمة أيضاً لأنها تترتب على ما قبلها، أما النتيجة الأخيرة، وهي قولهم: (المحدث هو الله) فتحتاج إلى مقدمة أخرى، لذلك نجدهم يلجأون هنا إلى سوق دليل آخر يعتمد على بطلان الدور والتسلسل، ومن هنا نرى فيلسوف قرطبة، أبا الوليد ابن رشد[1] ينتقد المتكلمين، ويدعوهم إلى ترك التعقيدات والتفريعات التي تعقد الدليل، واتباع الأسلوب القرآني في الاستدلال، لأنه أقرب إلى عقول المخاطبين، وأقطع لشبه المعاند.

---

[1] ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد، ولد في قرطبة سنة 1126م، فيلسوف، وطبيب، وفقيه، وقاضي، وفلكي،وفيزيائي، مسلم، نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس والتي عرفت بالمذهب المالكي يعدّ من أهم فلاسفة الإسلام . دافع عن الفلسفة وصحح علماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي، أسس مذهب "الفكر الفلسفي الحر"، ويعتبر من أحسن من قاموا بترجمة وشرح فلسفة أرسطو، وقد ترك ابن رشد تُراثاً كبيراً في الفلسفة الغربية والفلسفة الحالية، توفي في مراكش 1198م.

المطلب الثالث: (خطاب الإنسان بمكونيه: العقل والعاطفة)

حرص القرآن الكريم على أن يخاطب الإنسان بمكونيه (العقل والعاطفة) أحياناً، وبعقله أحياناً، وبعاطفته أحياناً، وذلك من أجل إقامة الحجة، والإتيان بالأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة والطاعة، لأن ما يقنع العقل قد لا يمتع العاطفة والوجدان، وما يمتع العاطفة والوجدان قد لا يقنع العقل.

فالقرآن الكريم لا يسوق الأدلة مجرّدة جامدة، بل يأتي بمنطق يخاطب الوجدان وينبّه الحس للتخيل ويستثير العاطفة بإيراد الأدلة القاطعة بترتيب ليس له نظير، {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[1]، {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً}[2].

يعرج القرآن الكريم بالقوم من معاندي الدعوة على نوع خاص من الأدلة، هي بعث المشاعر والعواطف، يهدهد عواطفهم تارة بكل ملطف ومُنبّه يمس شغاف قلوبهم باليد الرحيمة الرقيقة الودودة المُنعمة لعلهم يستيقظون، فإن استجابوا لنداء المودة والإحسان فقد أفلحوا وفازوا في الدارين وإلا فإنه يجذبهم من نواصيهم جذباً مروعاً، ويفعل بهم كما فعل بمن سبقهم من المكذبين[3].اهـ بتصرف

---

[1] سورة الأحقاف آية 4.

[2] سورة فاطر آية 40.

[3] شلبي: د. رءوف/ منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية ص99.

أي كتاب أعظم من كتاب الله تعالى الذي يخاطب العقل والقلب معاً ، إنها الحقيقة البرهانية الصارمة التي صدحت في الكون، تمزج بين الحق والجمال، حيث يقول سبحانه وتعالى مبيناً هذا المزج: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ}[1]، ويقول أيضاً : {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[2]، وهنا يقول تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ}[3]، وكذلك يقول: {الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ}[4]، والآيات في كتاب الله كثيرة، توضح وتبين خطاب مزج الحق بالجمال،وتخاطب العقل والوجدان معاً .

أين نجد هذا التلاحم في غير كتاب الله تعالى؟ إنه أسلوب إقناع العقل وإمتاع العاطفة، كما تسري الروح في الجسد، والماء في العود الأخضر) وهذا ما لا نجده في كلام من جمع العلوم والمعارف، وحوى اللغة وما فيها من البيان والمعاني والبلاغة من البشر.

---

(1) سورة الرحمن الآيتان 19-20.

(2) سورة النحل آية 69.

(3) سورة النحل آية 66.

(4) سورة يس آية 80.

المطلب الرابع: السعة والمرونة

أولاً : السعة.

السعة في اللغة: وَسِعَ الشيءَ بالكسر يَسَعُه سَعَةً. يقال: لا يَسَعُني شيء ويضيق عنك، أي وإن يضق عنك، أي بل يتسع لي، ولا يسعني شيء عنك. والسَّعَةُ: الجِدَةُ والطاقةُ. قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}[1]، أي على قدر غناه وسعته، والهاء عوض من الواو. وأَوْسَعَ الرجل؛ إذا صار ذا سَعَةٍ وغِنًى، ومنه قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[2]، أي أغنياء قادرون. ويقال: أَوْسَعَ الله عليك، أي أغناك. والتَوْسيعُ: خلاف التضييق. تقول: وَسَّعْتُ الشيءَ فاتَّسعَ واسْتَوْسَعَ، أي صار واسعاً. وتَوَسَّعوا في المجلس، أي تفسَّحوا. وفرسٌ وَساعٌ بالفتح، أي واسِعُ الخطو، وقد وَسُعَ بالضم وَساعَةً[3].

السعة في الاصطلاح: للسعة معانٍ كثيرةٍ، وذلك بحسب إضافتها لما بعدها، ومن هذه المعاني:

1- الإحاطة والشمول، ومنها قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}[4].

2- الكثير العطاء الذي يسع لما يسأل، ومنها قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[5].

---

(1) سورة الطلاق آية 7.

(2) سورة الذاريات آية 47.

(3) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد/ الصحاح في اللغة ج2ص278.

(4) سورة البقرة آية 255.

(5) سورة البقرة آية 261.

3- كثير الخير عظيم الفضل، ومنها قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[1]

4- الطاقة والقوة وفي التنزيل العزيز، {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[2][3].

والواسع: اسم من أسماء الله الحسنى، ويعني كثير العطاء، فوسع رزقه جميع خلقه، ورحمته كل شيء، وغناه كل فقر.

وهناك معانٍ عديدةٍ لا يتسع المجال لذكرها.

ثانياً : المرونة.

المرونة في اللغة: مَرَنَ يَمْرُنُ مَرَانَةً ومُرُونةً: وهو لين في صلابة. ومَرَنَتْ يد فلانٍ على العمل أي صَلُبَتْ واستمرت والمرانة: اللين[4].

قال ابن جني: المَرْن مصدر كالحَذف والكَذِب والفعل منه مَرَنَ على الشيء إذا ألفه ودَرِبَ فيه ولانَ له[5].

المرونة في الاصطلاح: إن مفهوم المرونة كغيره من المصطلحات في العلوم الإنسانية تتعدد فيه المفاهيم وتختلف، ومرد ذلك الاختلاف إلى أن كلاً ينظر إلى المرونة من خلال الوسط العلمي الذي يعيش فيه، فمنهم من يرى أن المرونة هي التوسط، ومنهم من يرى المرونة هي

(1) سورة آل عمران آية 73.

(2) سورة البقرة آية 286.

(3) مصطفى: إبراهيم . الزيات: أحمد . عبد القادر: حامد . النجار: محمد/ المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج2 ص1032.

(4) القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1 ص1592.

(5) لسان العرب، مرجع سابق، ج13ص403.

الحل الأيسر، ومنهم من يرى المرونة في اللين واليسر، ومنهم من يرى المرونة أنها القابلية للتغيّر إلى الأحسن والأفضل، ومنهم من يرى المرونة في تحقيق خير الخيرينِ ودفع شر الشرّينِ، ومنهم من يرى أن المرونة تكون في تقبل آراء الآخرين، وأن لا يقتصر الإنسان على جانب واحد من الحق، وأن لا يفرض رأيه على الآخرين[1].

أعني بالسعة والمرونة هنا أنّ الأدلة القرآنية تتسع لجميع عقول البشر، فهو يخاطب كل عقل حسب إدراكه واستعداده، ويخاطب العقول حسب قدرتها، كما قال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[2].

ولو سلمنا بأن البشر مشتركون في الحد الأدنى من الإدراك العقلي، فإننا لا نختلف في تفاوت العقول في درجات الفهم، فمن الناس الذكي ذو البصيرة النافذة، ومنهم الساذج الذي لا يكاد يدرك شيئاً إلا الجلي الواضح، وفيما بينهم درجات، ومع هذا نجد أن الخطاب القرآني يخاطب الذكي وقليل الإدراك والجميع بنفس الخطاب، فيأخذ كلٌّ منهم بحسب فهمه وقدرته على الاستيعاب، وهذا الخطاب المعجز لا تجده إلا في كتاب الله عز وجل.

وفي هذا يقول الشيخ محمد عبد الله دراز (أما أن جملةً واحدةً تلقى إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى السوقة والملوك، فيراها كل منهم مقدرةً على مقدار عقله، وعلى وفق حاجته، فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم، فهو قرآن واحد، يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام، وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا

---

(1) الأحمدي: الأستاذ أنس سليم/ بحث في المرونة، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع/ الرياض، ص2.

(2) البخاري/ صحيح الجامع، مرجع سابق، عن علي موقوفاً، كتاب بدء الوحي، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. ج1ص44.

يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، مُيسر لكل من أراد)[1].

فهذه الأدلة القرآنية التي تتسع للعالم والجاهل، والعام والخاص، هي أيضاً تتسع لأصحاب المذاهب الفكرية كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء وغيرهم، فالقرآن الكريم يعطي الجميع بلا استثناء ما يوافق مذهب كل منهم ويؤيده، لذا نجد المعتزلي يستدل بالقرآن والأشعري يستدل بالقرآن والصوفي يستدل بالقرآن، ومع هذا فالقرآن واحد، تنزيل من حكيم حميد، لا يتبدل ولا يتناقض، علماً بأن الاستدلال بالقرآن إن كان مخالفاً لما نزل به، فإنه لا يقبل ممن استدل به، وسيكون عليه وبالاً يوم القيامة.

فلو نظرنا إلى أدلة أصحاب الكلام وغيرهم من الفلاسفة والأصوليين، فإنك تجد كلاً منهم يضع أدلته لجماعة أو طائفة معينة لا يفهمها غيرهم، وفي بعض الأحيان تجدهم يضعون أدلتهم فقط لإظهار ذكائهم وبراعتهم وتفوقهم على غيرهم.

فنجد على سبيل المثال المتكلمين عندما يستدلون على معرفة الصانع سبحانه وتعالى، فإنهم يذكرون مقدمات عقلية رأوا أنه لا يمكن للإنسان أن يبرهن على إثبات الصانع إلا إذا عرفها، وسموها (المطالب السبعة) وهي:

1- أن العالم جواهر وأعراض، وأن العرض شيء يزيد على الجوهر كشأن الحركة مع الجسم.

2- أن العرض لا يقوم بنفسه.

3- أن العرض لا يقبل الانتقال من محل إلى آخر.

4- أن العرض يكمن في محله حتى يرد على محله عرض يضاده.

---

[1] دراز: محمد عبد الله/ النبأ العظيم ص107.

5- أن العرض لا ينفك عن محله.

6- أن القديم لا ينعدم.

7- أنه ليس هناك حوادث لا أول لها، أي أنهم يعلقون القول بوجود صانع واجب الوجود مخالف للحوادث، على بطلان الدور والتسلسل(1). اهـ بتصرف.

فنجد هنا أنّ هذه الأمور وأشباهها تبعث على المزيد من التشويش والتعقيد لدى المخاطبين والمخاطب في غنىً عن أمثالها.

وفي مقابل ذلك نرى أنّ القرآن الكريم يتجه إلى إقناع المخاطبين بأساليب ووسائل سهلة ومباشرة ومرنة تسع الجميع على اختلاف عقولهم ومداركهم.

---

(1) صدّار: أد محمد عبد الستّار/ المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلماء الكلام، ص486-487.

المطلب الخامس: براعة الأسلوب المعجز

معنى البراعة:

البراعة لغة: من برَعَ يبرع بروعاً وبراعة، وبرُعَ فهو بارعٌ: تم في كل فضيلة وجمال، وهي مصدر بَرَعَ إذا فاقَ أصحابه ونظراءه في العلم وغيره[1]، وقال أبو عبيد: البارع: الذي قد فاق أصحابه في السُؤدَد[2].

وفي الاصطلاح: كمال الفضل وحسن الفصاحة الخارجة عن نظائرها[3].

معنى الإعجاز:

الإعجاز في اللغة: عجزت عن الشيء أعجِز بالكسر، عجزاً ومعجزةً ومعجِزاً بكسر الجيم، ومعجزةً ومعجزاً بفتحها، وأعجزني، والعجْز – نقيض الحزْم، فأنا عاجز، والشيء معجوز عنه: إذا لم أقدر على ما أريده، وقصرت عنه، وضعفت في الجسم والعقل والرأي. وفي التنزيل: {قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ}[4][5].

الإعجاز في الاصطلاح: إظهار صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم[6].

---

(1) ابن سيده المرسي/ المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، ج2ص144، والزبيدي: محمد الحسيني/ تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ج1ص66.

(2) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد/ تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م الطبعة: الأولى، ج2ص223.

(3) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج1ص50.

(4) سورة المائدة آية 31.

(5) ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي/ المخصص، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ 1996م الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، ج3ص336.

(6) القطان: مناع/ مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م، ص265.

من أسس الإقناع في القرآن الكريم سوق الأدلة القرآنية بأسلوب معجز بارع في حسن الصياغة، يمزج الحق بالجمال ويزاوج بين العقل والوجدان، عذب المنهل واضح البيان، بأحسن الألفاظ متضمناً أفصح المعاني وأصدقها، دون تناقض ولا تبديل ولا تحريف.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1].

قال السيوطي: سُئل الغزالي عن معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2]، فأجاب: (الاختلاف لفظ مشترك[3]، بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه. بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، يقال هذا الكلام مختلف أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوى، أو بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، وهو مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وهو مختلف النظم، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله متنزه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد هو دعوة الخلق إلى الله تعالى، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين)[4]. اهـ

فهذا الأسلوب الإلهي لا نجده في كلام البشر، لأن البشر يغيرون الواقع ويموهون الحقائق، وكل إنسان يرى الأشياء حسب فهمه لها، وقدرة عقله على استيعابها، وكذلك تلقي البيئة

---

(6) سورة النساء آية 82.

(1) سورة النساء آية 82.

(2) اللفظ المشترك هو الذي يدل على عدة معان بالتساوي، مثل لفظ القرء فهو متردد بين الحيض والطهر.

(4) السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين/ الإتقان في علوم القرآن، النوع الرابع والستين، ج2ص124.

الجغرافية التي يعيش الكاتب أو الأديب ظلالها، وتضع بصماتها واضحة على أسلوبه، وهذا ما يعرف بنظرية المرايا[1].

وا ِن الناظر إلى أسلوب القرآن الكريم، يشعر بالإعجاب والتقدير لهذا الوجه من وجوه الإعجاز التي لا تحد ولا تحصى.

فحسن الصياغة وبراعة الأسلوب في القرآن الكريم، تقنع العقل وتجذب الروح وتأسر شغاف القلب، يبرز الواقع بصدق مـُتناه، وتظهر الحقائق بلا غموض وبدقة بالغة.

وبهذا الأسلوب البارع وجد العرب أنفسهم عاجزين عن معارضته والإتيان بمثله، وألجمهم عن الكلام، وأقنعهم بالحجة البالغة.

فنجد الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم،اعترف بأنّه كلام ٌ لا يجري على مثل ما عرفوه من كلام الشعراء والفصحاء.

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قِبَلَهُ ، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، فقال أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وا ِن عليه لطلاوة، وا ِنه لمثمر

[1] المقصود بنظرية المرايا هو أن يرى الإنسان الأشياء عياناً ، وكأنه ينظر إلى المرآة ليرى نفسه.

أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: (هذا سحر يؤثر)[1][2].

وهنا يظهر الفرق واضحاً جلياً بين الأسلوب الإلهي والأساليب البشرية، حيث يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله: (وهكذا تضع الأرض طابعها على أدوات البلاغة التي يستخدمها شعب ما كيما يعبّر عن عبقريته، وبالتالي فإن النقد الذاتي لأي أديب، يجب ان يكشف في هذا الأديب إلى حد ما عن علاقته بعناصر التربة التي ولد فيها، وكذلك فيما يتصل بتحليل الأسلوب القرآني، فإن هذا التحليل يجب أن يكشف عما يربطه بالتربة العربية، ولعل المزاج هو العنصر البلاغي الفريد الذي يحدد معالم الأسلوب، ويحدد بصورة ما موقفه الجغرافي)[3]. اهـ بتصرف.

---

(1) موافق لما في سورة المدّثّر آية 24 {قَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}

(2) السيوطي: الإتقان، مرجع سابق، النوع الرابع والستين ج2ص117.

(3) ابن نبي: مالك/ الظاهرة القرآنية ص279–280.

الفصل الثالث: طرق وأساليب الإقناع في القرآن الكريم

المبحث الأول: الإقناع بطريق الحوار والجدل

المطلب الأول: تعريف الحوار والجدل والفرق بينهما وأنواع الجدل

المطلب الثاني: أهداف الحوار والجدل، تدوين علم الجدل ونشأته

المطلب الثالث: أسباب انتشار الجدل، خصائص الجدل

المطلب الرابع: طرق الاستدلال القرآني

المبحث الثاني: الإقناع بالأمثال والقصص

المطلب الأول: الإقناع بالأمثال، الكلمات المشابهة والفرق بينها، الأغراض العامة للمثل في القرآن

المطلب الثاني: نماذج من الاستدلال بالأمثال في القرآن

المطلب الثالث: الإقناع بالقصص، الأغراض العامة للقصص في القرآن، فوائد القصص القرآني، ميزات القصة، التكرار وفوائده

المطلب الرابع: أنواع القصص القرآني، نماذج من الاستدلال بالقصص القرآني

المبحث الثالث: الإقناع بالقسم

المطلب الأول: تعريف القسم، فوائده، أمثلة على القسم

المطلب الثاني: أنواع القسم، أحوال المقسم عليه

الفصل الثالث: طرق وأساليب الإقناع في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الإقناع بطريق الحوار والجدل

سلك القرآن الكريم في الحوار مع الناس أساليب متنوعة بحيث يخاطب كل إنسان حسب عقله وفهمه منها، فالقرآن الكريم يسوق القصص ويضرب المثل لأجل أن يقتنع الناس ويعبدوا ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى.

وسوف أعرض فيما يأتي إلى أساليب القرآن التي اعتمدها في إقناع المخاطبين على اختلاف عقولهم وتفاوت مداركهم.

- الإقناع بطريق الحوار والجدل.
- الإقناع بطريق الأمثال والقصص.
- الإقناع بالقسم.
- استخدام الحجة والبرهان في سبيل إقناع الخصم.

المطلب الأول: تعريف الحوار والجدل والفرق بينهما وأنواع الجدل

الإقناع بالحوار والجدل:

الحوار سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التواصل، والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك التربية والتعليم، ومجمع التقارب والالتقاء، وسنن الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشبه.

الحوار لغة: من الحوْر وهو الرجوع {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ}[1]، أي يرجع.

قال ابن منظور: أصل الحور الرجوع إلى النقص... وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة..وإنه لضعيف الحور، أي المحاورة[2].

الحوار اصطلاحاً: مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو للتقريب بين وجهات النظر.

معنى الجدل: من جدل جدلاً اشتدت خصومته فهو جدل ومُجادل ومجدال، وجادله مجادلةً وجدالاً: ناقشه وخاصمه، وفي التنزيل {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[3].

والجدل: اللدد والخصومة الشديدة مع الميل عن الحق. قال الراغب: الجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، وأصله من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه[4].

---

(1) سورة الانشقاق آية 14.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ح4، ص 217.

(3) سورة النحل آية 125.

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ج 28 ص 194.

ويطلق الجدل في اللغة على عدة معانٍ منها:

1- الصراع والغلبة، تقول: جدل الرجل أي صرعه وغلبه في الجدل. وقيل أيضاً: ألقاه على الجدَّالة، وهي الأرض.

2- الإتقان والحسن: تقول جدل الحبل جدلاً، أي أحكم فتله وأتقنه.

3- شدة الخصومة والمناقشة: تقول جادله مجادلة وجدالاً، أي ناقشه وخاصمه، ومنه قوله وتعالى:{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[1].

4- مقابلة الحجة بالحجة: تقول جدل فلان فلاناً: أي قابل حجته بحجة من عنده.

ولا تعارض بين هذه المعاني، فإن إتقان الخصومة والمناقشة ينتهي إلى الغلبة غالباً.

و الجدل في الاصطلاح طريقة في المناقشة والاستدلال صوّرها الفلاسفة بصور مختلفة، وعرفه الجرجاني بأنه: (القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان)، وعرفه أيضاً بأنه: (دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة)[2]، وعرفه الجويني بأنه: (إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة)[3].

---

[1] سورة النحل آية 125.

[2] الجرجاني: علي بن محمد بن علي/ التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405 ص 102.

[3] الجويني: إمام الحرمين، ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف/ الكافية في الجدل، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار النشر: مكتبة الكليات الأزهرية. ص 19-21.

والمجادلة في علم المناظرة:هي المناظرة التي تكون من أجل إلزام الخصم وإفحامه، ولا تكون الغاية منها إظهار الصواب، والجدليون من اشتهر بالجدل كالسُّفسطائيين[1] بين اليونان، والمعتزلة بين المسلمين[2].

وقال الفيومي: هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم[3].وعُرف أيضاً بأنه (إبطال قول الخصم بما يدل على بطلانه وإثبات الحق بدليل)[4].

---

[1] السوفسطائية: سُوفِسْطائي وهي فرقة تنكر الحسِّيات والبديهيات وغيرها وتُعنى بالجدل والتَّلاعب بالألفاظ بقصد الإقناع وهي فرقة يونانيّة قديمة عارضها سُقراط وكشف عن مغالطتها،

ومعناها: التميّز بالحذق والمهارة في الأمور ولكنها أخذت بعد ذلك تدل على القول المموّه أو القياس الخدّاع.

وكان من زعمائها البارزين "بروتاجوراس" و "جورجياس."

وفي عصر السوفسطائية، انتقل مركز التفكير الفلسفي إلى الإنسان، وأصبح هو محور التساؤلات والمناقشات. ويبدو أن الفلسفة لم تجد أن البحث في الأخلاق الإنسانية هو الهدف والغاية الأصلية من وجودها فقد كانت تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية في الكون، تميز منهج السوفسطائيين بالجدل البناء الذي يطرح الموضوع للبحث، بغية استنباط العيوب والحسنات والنتائج، وتقوم هذه الطريقة أساساً على مبدأ الشك، الشك في الموجودات وفي الوجود بالذات، والشك في القيم وفي الأخلاق. انظر موقع http://www.arab-ency.com/

[2] المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج1ص111.

[3] تاج العروس، مرجع سابق، ج28 ص 194.

[4] البريكان– د، إبراهيم بن محمد بن عبد الله/ تعريف الخلف بمنهج السلف، ص 210.

أنواع الجدل:

الجدل نوعان في القرآن الكريم متباينان.

أحدهما الجدل المذموم: وهو الجدال لتقرير الباطل، أو ما فيه نوع من الخصومة والتعصب الذي لا يؤدي إلى خير، والجدل بغير علم أو دليل، والجدل بالباطل، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو ما فيه نوع من الخصومة والتعصب.

مثاله في سورة غافر قوله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}[1]، وهذا في ذم جدال الكافرين.

وورد أيضاً في ذم الجدال في الحج لما يفضي إليه من الخصومة والتنازع كما ورد في سورة البقرة {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[2].

قال مالك في الموطأ: الجدال في الحج أن قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة وكان غيرهم يقفون بعرفات وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول هؤلاء: نحن أصوب، قال اللّه تعالى: {لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى

---

(1) سورة غافر آية 4-6.

(2) سورة البقرة، آية 197.

{رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ}[1]. قال مالك هذا هو الجدال فيما يروى والله أعلم[2].

وأما النوع الثاني من الجدل فهو الجدل المحمود (وهو الذي يكون في طلب الحق ومؤيداً له أو تقريره بأسلوب حسن، أو إبطال باطل بحيث لا يؤدي إلى التنازع والفشل، فقد يكون هذا النوع من الجدل فرض عين إذا تعين على شخص ما الدفاع عن الحق، وقد يكون فرض كفاية، بحيث يقوم به بعض أفراد الأمة، فلا يأثم الجميع بتركه، لقوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[3].

ومن الأمثلة عليه في كتاب الله كما في سورة العنكبوت {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[4]، وقوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[5].

الفرق بين الحوار والجدال:

من خلال ما سبق يتبيّن لنا بعض الفروق بين الحوار والجدل، فالجدل يكون بين مختلفين في الرأي أو الاعتقاد، وكل واحد منهم يريد إثبات صحة ما يعتقده، وأما الحوار فيكون بين المتوافقين، كالوالد وابنه والأم وابنتها والزوج وزوجته والحاكم والمحكوم والمفتي والمستفتي وهكذا.

---

(1) سورة الحج الآيتان 67-68.

(2) مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج5 ص318.

(3) سورة آل عمران آية 104.

(4) سورة العنكبوت آية 46.

(5) سورة المجادلة آية 1.

ويكون الحوار أيضاً بين المختلفين في الرأي أو الاعتقاد ولا يكون إلا بطريقة هادئة بعيداً عن الخصومة. {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[1].

---

[1] سورة الكهف آية 34.

المطلب الثاني: أهداف الحوار والجدل، تدوين علم الجدل ونشأته

أهداف الجدل:

1-نقض شبهة الخصم وإبطال حجته.

2- تقرير أو إثبات دعوى المجادل.

3-قطع الخصم عن الكلام ليُسلم بدعوى المجادل.

أهداف الحوار:

1- إقامة الحجة بالأدلة المؤيدة للحق وتقريره.

2- كشف الشبهات والرد على الأباطيل والتحرير من طرق الضلال.

3- الدعوة إلى الحق، حيث الحوار الهادئ يفتح القلوب ويرضى الخصم ويقرب وجهات النظر ويضيّق الفجوة بين المتحاورين.

ومن هنا يتبين أن الحوار أعم من الجدل، حيث إن الحوار بين المتوافقين والمتخاصمين، والجدل لا يكون إلا بين المتخاصمين.

وكذلك فإن الحوار يكون المراد منه وصول المتحاورين إلى الصواب، وأما الجدل فالمراد منه إلزام الخصم وقطع مادة شبهته.

أول من دون علم الجدل:

ذكر صاحب المصباح المنير[1]، أن أول من دون الجدل هو (أبو علي الطبري،)[2].

وقيل: إن أول من كتب في الجدل البزدوي[3] والعميدي[4]، ثم كثر التأليف من بعدهما. وذكر الإمام أبو زهرة في كتابه تاريخ الجدل أن طريقة البزدوي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال، وأما طريقة ركن الدين العميدي فهي عامة في كل دليل يستدل به في أي علم كان، حيث ألف كتاباً سماه الإرشاد مختصراً ، وتبعه النسفي وغيره[5].

وفي مجال الفقه كان أول من صنف في الجدل القفّال الشاشي[6] في أوائل القرن الرابع الهجري (336)[7].

قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لأمرين:

أحدهما بسبب ما قاله وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[1].

---

[1] الحموي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

[2] أبو علي الطبري الإمام شيخ الشافعية الحسن بن القاسم، صنف" المحرر في النظر" وصنف في الخلاف المجرد، وصنف" الإفصاح" في المذهب، وألف في الجدل ودرس ببغداد بعد شيخه أبي علي بن أبي هريرة، ومات كهلا في سنة خمسين وثلاثمائة.

[3] شيخ الحنفية عالم ما وراء النهر أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي صاحب الطريقة في المذهب، توفي بسمر قند(493)هـ.

[4] العلامة ركن الدين أبو حامد محمد بن محمد السمرقندي الحنفي، مات ببخارى(615)هـ.

[5] أبو زهرة: محمد/ تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ص 5.

[6] القفال الشاشي أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، إمام ما وراء النهر، توفي قرابة(364)هـ.

[7] ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن محمد/ مقدمة ابن خلدون، ص329.

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون،ولم يكن ملغزاً ، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء)[2].

---

[1] سورة الأنبياء آية 4.

[2] السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 356.

نشأة علم الجدل:

ظاهرة الجدل ليست إنسانية فحسب بل هي ظاهرة عالمية لوجودها في غير الأجناس البشرية كالملائكة وا بليس، والإنسان مجبول بطبعه على حب الاطلاع والمناقشة، حيث يعبر كل إنسان عما يختلج في نفسه من التساؤلات، لما هو مرتكز في فطرته الإنسانية، ويستمر هذا الأمر حتى بعد الموت وفي عرصات القيامة، تجادل كل نفس عن نفسها، قال تعالى: {و َ مْ تَ أْتِ يِ كُ لُّ نَ فْ سٍ تُ جَ ادِ لُ عَ نْ نَ فْ سِ هَ ا وَ تُ وَ فَّ ى كُ لُّ نَ فْ سٍ مَ ا عَ مِ لَ تْ وَ هُ مْ لا يُ ظْ لَ مُ ونَ }[1].

إنّ الناظر في كتاب الله تعالى يجد مواضيع كثيرة تدل على وجود الجدل وتاريخه الطويل،ولكن لا يمكن تحديد وقتٍ زمني لبدء الجدل، حيث إنه ابتدأ قبل خلق آدم عليه السلام، حيث أخبر رب العزة الملائكة بخلق آدم عليه السلام، وأن من شأن ذريته الإفساد فيو الأرض وسفك الدماء، فقالت الملائكة: {أَ تَ جْ عَ لُ فِ يهَ ا مَ نْ يُ فْ سِ دُ فِ يهَ ا وَ يَ سْ فِ كُ الدِّ مَ اءَ وَ نَ حْ نُ نُ سَ بِّ حُ بِ حَ مْ دِ كَ وَ نُ قَ دِّ سُ لَ كَ }.[2] فأجابهم ربنا سبحانه وتعالى: {قَ الَ إِنِّ ي أَ عْ لَ مُ مَ ا لا تَ عْ لَ مُ ونَ }[3].

وجاء بعد ذلك جدل إبليس حيث رفض السجود لآدم عليه الصلاة و السلام، عندما أمر بالسجود له مع الملائكة، قال تعالى: {قَ الَ مَ ا مَ نَ عَ كَ أَ لَّ ا تَ سْ جُ دَ إِ ذْ أَ مَ رْ تُ كَ قَ الَ أَ نَ ا خَ يْ رٌ مِ نْ هُ خَ لَ قْ تَ نِ ي مِ نْ نَ ارٍ وَ خَ لَ قْ تَ هُ مِ نْ طِ ينٍ }[4]، وقال تعالى: {أَ أَ سْ جُ دُ لِ مَ نْ خَ لَ قْ تَ طِ ينًا }[5]، وقال تعالى: {قَ الَ لَ مْ أَ كُ نْ لِأَ سْ جُ دَ لِ بَ شَ رٍ خَ لَ قْ تَ هُ مِ نْ صَ لْ صَ الٍ مِ نْ حَ مَ إٍ مَ سْ نُ ونٍ }[6].

---

(1) سورة النحل آية 111.

(2) سورة البقرة آية 30.

(3) سورة البقرة آية 30.

(4) سورة الأعراف آية 12.

(4) سورة الإسراء آية 61.

(5) سورة الحجر آية 26.

وقد روى لنا القرآن الكريم صوراً ونماذج من الجدل في الأمم الغابرة، منذ وجود الإنسان على الأرض، منها ما قاله قوم نوح عليه السلام لنبيهم: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[1]، ومنها جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ}[2]، فالجدل موجود بوجود الإنسانية، كامن في نزعاتها البيانية.

الجدل في البيئة اليونانية:

بدأ في البيئة اليونانية وضعُ قواعد علم الجدل والمنطق بحيث أصبح علماً يدرس، وفناً يكتسب، وذلك من أجل مواجهة الحركة السفسطائية[3] التي كانت تُلبّس على الناس عقائدهم، وتشككهم في الحقائق والمسلمات التي يتعاملون بها، مما دعا علماء اليونان إلى وضع تلك القواعد الجدلية بقصد قطع أولئك السفسطائيين وإفحامهم ومغالبتهم.

الجدل في البيئات الإسلامية:

ظل الجدل مقصوراً في عصر النبوة والصحابة والتابعين على الاجتهادات الفقهية وما تدعو إليه الحاجة من دفع شبهة وبيان حق وترجيح دليل في الاجتهادات الفقهية، ولم يقع في أمور العقيدة إلا نادراً لسلامة فطرتهم ومعرفتهم الدليل نصاً ومعنى، ثم أخذ يظهرالجدل السياسي أيام علي ومعاوية رضي الله عنهما، وظهور الخوارج، ثم أيام ابن الزبير ويزيد رضي الله عنهما، وبدء التشيع، والدعوة إلى الرضا من آل البيت، وانتصار دعوتهم السرية، وأخذ الخلافة من الأمويين، واستمر الحال هكذا حتى آلت الخلافة إلى بني العباس.

---

(1) سورة هود آية 32.

(7) سورة هود الآيتان 74-75.

(2) السفسطائية: سبق الحديث عنها ص63.

وفي عهد الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، حيث ظهرت حركات الترجمة للثقافات الفارسية واليونانية، وظهرت بقوة النزعة الاعتزالية، وبرز علم الكلام والمنطق، حيث اشتد الصراع الفكري بين دعاة الحق ودعاة الباطل مما جرّ على الأمة الإسلامية الكثير الكثير من الاضطراب الفكري، فظهرت المذاهب فقام كثير من علماء المسلمين بالتصدي لهذا النزعات الفلسفية، وبعد ذلك بقرون جاء الإمام الغزالي[1] الذي تعمق في علوم الفلاسفة وتبحّر فيها حتى تسنّى له الرد على أكاذيبهم ودحض شبههم عن الإسلام الحنيف. حيث ألف مجموعة من الكتب منها مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ثم جاء من بعده شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث تصدى أيضاً لعلماء المنطق اليوناني والمذاهب الكلامية، موضحاً ما تخفيه كثير من تلك الثقافات والعلوم من فوائد ومضار.

---

[1] الغزّالي: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي – بتشديد الزاي – الطوسي، وكنيته "أبو حامد"، ولد عام (450هـ)، وتوفي عام (505هـ)، قال الذهبي رحمه الله: أدخله سَيَلانُ ذهنه في مضايقِ الكلام، ومزالّ الأقدام، وقد ألّف الرجل في ذمِّ الفلاسفةِ كتابَ "التهافت"، وكشف عوارَهم، ووافقهم في مواضعَ ظنًّا منه أن ذلك حقٌّ أو موافقٌ للملّةِ ."سير أعلام النبلاء"(19/ 323)، وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله: شيخُنا أبو حامد بلَعَ الفلاسفةَ، وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع). أهـ" السير "(19/ 327).

المطلب الثالث: أسباب انتشار الجدل، خصائص الجدل

أسباب انتشار الجدل:(1)

1- بعد توسع رقعة الدول الإسلامية ودخول الكثير من العجم في الإسلام، أراد بعض الخلفاء ترجمة كتب من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية إلى العربية، ومن اللغة العربية إلى هذه اللغات، فكان هذا أحد الأسباب لانتشار الجدل في البيئات الإسلامية.

2- والأمر الأدهى والأمر هو مهاجمة اليهودوالنصارى والدهرييّن وغيرهم للدين الإسلامي، مما دفع علماء الأمة الإسلامية بالتصدي لهم وا ٍبطال حججهم وأقوالهم.

3- ومن الأسباب أيضاً : أن بعض الناس أخذ يخوض في الغيبيات، وبعض الموضوعات المشابهة مما أدت إلى الجدل في هذا الميدان وانزلاق العديد من الباحثين في هذه الموضوعات.

4- كذلك ميل العقول إلى أنواع من الترف العقلي بالبحث فيها، مما هيأ العقول للمناظرات والجدل فيما يعرض من مسائل دينية، حيث تأججت نار الخلاف واشتعلت، لاختلاف وجهات النظر وتباين المقاصد والنوايا.

5- ورود بعض النصوص في القرآن الكريم والسنة المطهرة التي توهم بظاهرها خلاف ما هو معلوم ومتفق عليه بين السلف الصالح، فتحتاج إلى التأويل والتفسير، فيتمسك بظاهرها أصحاب الأهواء، أو ينحرف بتأويلها لاوياً عنق الآية أو الحديث من أجل التعصب لمذهبه أو طائفته، مشعلاً نار الفتنة والفرقة بين المسلمين(2).

---

(2) بنهروال: الأستاذ عبد السلام/ المنهج القرآني في الجدل والاستدلال،-بتصرف/ موقع الشبكة الإسلامية، http: /www.islamwep.net

(2) الألمعي: زاهر عواض /مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثانية 1400هـ، ص32-33.

6 كذلك انتشرت مجالس للقصاص في المدن الإسلامية، حيث فتح المجال للناس في تناول المشكلات الطارئة، ورغبة الناس في معرفة حكمة الدين.

خصائص الجدل في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم خصائص وميّزات في أسلوبه المعجز وبيانه المميز في معالجة القضايا التي تحتاج إلى إقناع الخصوم ومناقشتهم بما يتناسب مع أحوالهم وإقامة الحجة عليهم بالأدلة والبراهين القاطعة، لثنيهم عما هم عليه من الباطل واتباع الحق الذي جاء به الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ومن هذه الخصاص ما يلي:

1- الأصل في الجدل القرآني أن يكون بالتي هي أحسن، واستخدام القرآن الكريم للجدل كوسيلة من وسائل الإقناع بالحجة والبرهان في إثبات الحق ودحض الباطل، فيذعن الخصم المجادل للحق ويرجع عمّا كان عليه من الباطل، لقوله تعالى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(1).

2- التركيز على الحقائق في ذاتها،وإقامة الحجج والبراهين الدالة على أمور معينة كأمور الغيب في قصص القرآن وقصص الأنبياء مع أقوامهم، من خلال دعوة الرسل،وتكبّر الكافرين وطغيانهم،وذكر ما حلّ بهم من العذاب، فهذه الأمور لم تعرف إلا من خلال القرآن الكريم، قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا

---

(2) سورة العنكبوت آية 46.

كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }[1] ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }[2].

3- القرآن الكريم لم يسلك أسلوب الجدل اليوناني ومنطقهم، ولم يرتبط بالمصطلحات الفلسفية المعقدة وا إنما جاء بأسلوب مألوف لدى الخصوم، وبلغتهم العربية الفصيحة التي جمعت بين عمق المعنى ووضوح العبارة وسلامة التركيب ودقة التصوير، مثيرة للانتباه وموقظة للمدارك محفزة للعقل إلى النظر والتفكر، دون إخلال بالصورة البيانية.

4- دعوة المجادل إلى أن يكون جداله عن علم، وعدم اتباع كل ناعق، وكل شيطان مارد، فقال سبحانه في وصفهم ذاماً لهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ }[3].

5- دعوة المجادل إلى التفكر في قدرة الله من خلال النظر إلى خلق السماوات والأرض وما فيهما، لثنيه عن عبادة المخلوق والتوجه لعبادة الخالق،حيث سلك مسلكاً قويماً ، يعالج فيه أوضاع الخصم المجادل، مناقشاً له بما يناسب حاله، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ

---

(2) سورة آل عمران آية 44.

(2) سورة يوسف آية 102.

(2) سورة الحج الآيتان 3-4.

قَو ْ م ُ ه ُ قَالَأَتُح َ اجُّونِّي فِي اللَّهِ َ قَدْهَ د َ انِ َ لا أَخ َ اف ُ مَا تُشْرِك ُونَ َ بِهِ إِلا ّ أَنْ َيشَاءَ َ رَبِّي شَيْئاً وَسِع َ

ر َ بِّي كُلَّ شَيْ ْ ء ٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّر ُ ونَ َ كَيْ ف َ أَخَ افُ مَا أَشْرَ ك ْتُمْ وَلاَ تَخَ افُونَ أَنَّكُمْ ْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُ نَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ

مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }[1].

6- ومن الخصائص أيضاً الإنصاف للخصم في الدعوى مع إلزامه الحجة في النتيجة، قال تعالى:{ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[2].

7- وكذلك فإن القرآن الكريم في جداله يخاطب العقل ويثير الوجدان، ويمزج الحق بالجمال في الوقت نفسه، يعطي العقل الحكمة، ويمنح القلب شوقاً ورقةً في حال الترغيب، وتحذيراً وخوفاً في حال الترهيب، قال تعالى:{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[3]. بخلاف ما يوجد في كلام الأدباء والشعراء، حيث الغلو في بعض الجوانب والقصور في جوانب أخرى، فمبلغ العلم عندهم تهييج العواطف واستثارة

---

(2) سورة الأنعام الآيات 74-84.

(2) سورة االقصص الآيات 47-50.

(2) سورة الزمر آية 23.

الوجدان، في حين تجد كثيراً مما صوروه خالياً من الحق والصدق، لا بل قد يدعو إلى الغي والضلال.

من خلال هذه الخصائص يتضح لنا المظهر العام للجدل في القرآن الكريم، بحيث يعامل الخصوم بما يناسب أحوالهم الاعتقادية والعلمية، فغالباً ما يكون الجدل مع المشركين جدل هداية وإرشاد، بحيث يظهر بعض المزاعم الخاطئة ويكشف زيفها، ويأتي بالبديل الموافق للحق بأساليب إقناعية، لجهلهم وعدم إدراكهم، في حين يكون الجدل مع أهل الكتاب جدل تخطئة وإفحام وإلزام للحجة لأنهم أهل علم ومعرفة[1].

---

[2] الألمعي: د. زاهر عواض/ مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية،الطبعة-2- 1400هـ، ص415-423 بتصرف.

المبحث الثاني: طرق الاستدلال القرآني

طرق الاستدلال القرآني:

نهج القرآن الكريم طرقاً عديدة في محاجـّة الخصوم والمعاندين بأدلة قاطعة لإقناعهم وإلزامهم الحجة.

وقد أورد كثير من العلماء، ومنهم الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن النوع الثامن والستين، تحت عنوان في جدل القرآن، أنواعاً وطرقاً من الاستدلال القرآني في الرد على الخصوم نذكر منها:

المطلب الأول: السبر والتقسيم

سلك القرآن الكريم ما يعرف بدليل السبر والتقسيم، لإبطال دعوى المشركين في تحريم بعض الأنعام من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام[(1)]، مسلك السبر والتقسيم، بحيث يتم حصر الأوصاف حصراً منطقياً للموضوع المجادل فيه، وبعد ذلك يثبت إبطال هذه الأوصاف واحدة تلو الأخرى، بحيث تبطل دعوى الخصم.

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ثمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ

---

(1) قد اختلف فى السائبة. فقيل: كان الرجل يسيّب من ماله ما شاء ويذهب به إلى الذين يقومون على خدمة آلهتهم. وقال بعضهم: السائبة إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلهنّ إناث سيّبت فلم تركب، ولم يجزّ لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء وبحرت أذن ابن ابنتها- يريد: خرقت- فالبحيرة ابنة السائبة، وهى بمنزلة أمّها. وأمّا الوصيلة فمن الشاء، إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عناقين عناقين، فولدت فى سابعها عناقاً وجدياً، قيل: وصلت أخاها، فلا يشرب لبنها النساء، وكان للرجال، وجرت مجرى السائبة. وأما الحامي فالفحل من الإبل كان إذا لقح ولد ولده حمى ظهره، فلا يركب ولايجزّ له وبر، ولا يمنع من مرعى، وأىّ إبل ضرب فيها لم يمنع. انظر- الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد/ معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى/ محمدعلى نجار/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة/ مصر ج1ص360

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[1].

والمعنى فى قوله آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ يقول: أجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من الذكرين أم من الأنثيين؟ فلو قالوا: من قبل الذكر حرم عليهم كل ذكر، ولو قالوا: من قبل الأنثى حرمت عليهم كل أنثى.

ثم قال اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ يقول أحر ّم عليكم اشتمال الرحم؟ فلو قالوا ذلك لحر ّم عليهم الذكر والأنثى لأن الرحم يشتمل على الذكر والأنثى[2].

وهذا الدليل يقوم على إبطال دعوى الخصم،وا ٕبطال كل قسم على حده، (أي أن الكفار لما حر ّموا ذكور الأنعام تارة وا ٕناثها أخرى، رد الله تعالى عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ماعلته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة، أو من جهة الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وا ٕرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله:أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها.

والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً ،والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في

---

[1] سورة الأنعام الآيتان 143-144.

[2] الفر ّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد/ معاني القرآن، تحقيق: نجاتي:أحمد يوسف/ نجار: محمد علي/ شلبي:عبد الفتاح، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، ج1ص360.

حالة لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدّعوه بواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال)[1].

ومن هنا يتبين لنا بطلان ما ادعوا من تحريم الأنعام بأنواعها، {الإبل والبقر والضأن والماعز}. فالتحريم يكون بإحدى الطرق التالية: إما لوصف ذاتي في هذه المحرمات، أو لوحي من الله، أو لأمر من رسول، ولما لم يأت التحريم بهذه الطرق، كان ما قالوه افتراء على الله تعالى وتقولاً عليه بلا علم،و{ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ }[2].

قياس التمثيل:

وهو أن يقيس المستدل ما ادعاه من أمر على أمر معروف عند خطاب الآخرين، أو على أمر بدهي تعرفه العقول ولا تنكره، مع بيان الجهة الجامعة بين المقاس والمقاس عليه، وقد ضرب لنا القرآن أمثله عليها منها ما ورد في مطلع سورة الحج، وما ورد في آخر سورة يس، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ

---

[1] السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج4الباب الثامن والستين ص55.

[2] سورة النحل آية 116.

بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا
ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور }[1].

ففي هذه الآية نرى أن الله الذي ابتدأ خلق الإنسان من طين،وبيّن أطوار الخلق حتى الموت، وبين كيفية خلق النبات من الأرض بعد اهتزازها، ومن ثم يبين لنا أنه سبحانه القادر على إعادة الخلق بعد الموت، وأنه يبعث من في القبور، وهذا ليبين للناس أن الإعادة أهون عليه من الخلق لأول مرة، وهذا من باب التمثيل بالنسبة للمخلوق، فقرب فيه البعيد ليسهل فهمه وقبوله.

أما بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون[2].اهـ بتصرف

وأيضاً قوله تعالى: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلاً
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق
عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون، أوليس الذي خلق
السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم، إنما أمره إذا أراد شيئاً
أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون }[3].

وفي هذه الآيات يبين لنا الخالق جل وعلا عقد مشابهة بين بدء الخلق من العدم، وبين إعادته وإحيائه مرة أخرى، بتعبير بليغ وتقرير سليم، موضحاً فيه قياس تمثيل للغيب الذي أمرنا وأوجب علينا الإيمان به على المشاهد والمحسوس من واقعنا، فهذا إنما يدل دلالة كاملة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه المالك للمشاهد والمرئي مما حدث، وعلى الغيب الذي لم يحدث، فهو

(1) سورة الحج الآيات 5-7.
(2) أبو زهرة: د. محمد/ المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي- القاهرة، ص380-381.
(3) سورة يس الآيات 77-83.

سبحانه عالم الغيب والشهادة وإعادة الخلق أهون عليه: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}[1].

الاستدلال بالمقابلة:

الاستدلال بالمقابلة: هو ما يكون بين أمرين أو شيئين لإثبات أحدهما وإبطال الآخر، وبيان المؤثّر منهما على عمل معين. فمثلاً استدل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تبين من المستحق للعبادة، لأن المشركين كانوا يعبدون أصناماً مع علمهم أنها لا تضر ولا تنفع وإذا جاع أحدهم أكل إلهه الذي كان يعبده وإذا سئلوا عن الخالق اعترفوا بأنه الله، ولكنّهم يتقربون بعبادة هذه الأصنام إلى الله زلفى، فقال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[2]. وقال سبحانه: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ، لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[3].

فالقرآن من خلال هذه المقابلة يأتي بدليل يلزم المشركين ويفحمهم ويقنعهم، فالاستدلال بالتقابل يصح أن يكون حيث ادعيت الألوهية، وجعل شركاء للخالق مما صنع البشر بأيدهم، وفي هذه المقابلة نجد أن المخلوق بأمس الحاجة إلى الخالق، وأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، وأن

---

(1) سورة الروم آية 27.

(2) سورة لقمان آية 25.

(3) سورة الزمر الآيات 1-4.

الخالق سبحانه منزّه عن هذه الأمور، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }[1]، فهو الحق الذي لا يعبد سواه، ولا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل أحد[2].

من خلال هذا الاستدلال بين قدرة الخالق وعجز المخلوق، ما يدل على أن الله تعالى هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى، سبحانه وتعالى عما يشركون.

ومثال آخر على الاستدلال بالمقابلة من خلال قوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }[3].

في هذه الآيات صورٌ متعددة للمقابلة والاستدلال بها، ففي الصورة الأولى ادعاء مقابلة ومساواة بين من لا يملك شيئاً ومن يملك كل شيء، ومع هذا تجد المشركين يتمسكون بمن لا يملك لنفسه النفع والضر، ويبتعدون عمن بيده الخير كله، وناتج هذا الدليل عدم المساواة، ولما انتفت المساواة، ثبتت الألوهية لله الواحد القهار، رب كل شيء ومليكه.

وفي الصورة الثانية ادعاء تسوية بين ظلمة الجهل والضلال ونور الحق والهداية، مشبهاً الظلمات بالأعمى الذي لا يدرك الحقائق،والنور بالمبصر الذي أشرق قلبه و اهتدى ولا شك أنّ

---

(1) سورة الإخلاص الآيات 1-4.

(2) أبو زهرة/ المعجزة الكبرى القرآن، مرجع سابق، ص354.

(3) سورة الرعد آية 16.

الحكم للمبصر المهتدي وليس في الأعمى الذي ضلّ وغوى،ومهما ضعف أهل الحقّ فهم الأقوى، وهم أهل الفضل والتقوى.

وفي الصورة الثالثة ادعاء بالمساواة بين من لا يخلق شيئاً ولو ذباباً بزعمهم وبين خالق كل شيء، والاشتراك في الخلق والإيجاد، وهذه الدعوى باطلة فاسدة، لأن الواقع يشهد عليهم ببطلان ادعائهموثبت أنّ الخالق لكل شيء هو الله سبحانه، وهو الواحد القهار.

فكان المقابلة ينبوعاً من ينابيع الاستدلال لدحض شبه المعاندين وا ٍقناعهم بالمنطق والحجة.

المطلب الثاني: قياس الخلف(دليل التمانع)[1]

(دليل التمانع هو إثبات المطلوب بإبطال نقضيه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود، ودليل الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق ّ، وا ٍن القرآن الكريم يتجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون، فيبطل عبادة الأوثان، ويثبت التوحيد.

ومن ذلك الاستدلال على التوحيد بقوله تعالى:{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ }[2].

وقد بين الزمخشري المعنى بقوله (لو كان يتولاهما ويدير أمرهما آلهة شتى غير الله الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا.

وفيه دلالةٌ على أمرين:

أحدهما: وجوب أن لا يكون مديرهما إلا واحد.

الثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده، لقوله: (إلا الله)، لعلمنأن ّ الرعية تفسد بتدبير الملكين، لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف)[3].اهـ

---

[1] دليل التمانع هو قياس الخلف وهذا التعريف عند علماء الكلام كما قال الشيخ محمد أبو زهرة (ويسمي علماء الكلام هذا الدليل، دليل التمانع، أي امتنعت الوثنية لامتناع الفساد فكانت الوحدانية).

[2] سورة الأنبياء الآيات 22-24.

[3] الزمخشرى: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت سنة الطبع: 1407 هـ، ج3ص110.

وقد ذكر السيوطي قوله:(ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد، بدلالة التمانع المشار إليها في قوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}[1]، لأنه لو كان للعالم صانعان، لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتفق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما)[2].

قال الآلوسي: (والآية كما قال غير واحد مشيرة إلى دليل عقلي على نفي تعدد الآلهة، وهو قياس استثنائي، فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم، فكأنه قيل: لو تعدد الإله في العالم لفسد، لكنه لم يفسد، ينتج أنه لم يتعدد الإله)[3].

و(إلا) بمعنى غير في الآية، وهي صفة لآلهة ظهر إعرابها على ما بعدها، وليست بمعنى الاستثناء، كما أوضح ذلك الإمام الفخر الرازي بقوله: (قال أهل النحو: إلا ها هنا بمعنى غير أي لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما شيء غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا، ولا يجوز أن يكون بمعنى الاستثناء، لأنا لو حملناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما الآلهة ليس معهم الله لفسدتا، وهذا يوجد بطريق المفهوم[4]،أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد، وذلك باطل، لأنه كان فيهما آلهة فسواء لم يكن الله معهم، أو كان فالفساد لازم، ولما بطل حمله الاستثناء ثبت المراد وما ذكرناه) [5].

وقد أجاد العقاد بقوله: (وصواب الأمر أن وجود إلهين سرمديين مستحيل، فإن بلوغ الكمال المطلق صفة من الصفات تمنع من بلوغ كمال مطلق آخر في تلك الصفة.

---

(1) سورة الأنبياء آية 22.

(2)السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2 ص 136.

(3)الآلوسي: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق علي عبد الباري عطية، المجلد 6، ج17 ص244.

(4)المفهوم: مفهوم المخالفة.

(5)الفخر الرازي/ التفسير الكبير– مفاتح الغيب، مرجع سابق، مجلد11، ج22، ص 150.

وأن الاثنينية لا تتحقق في مـُوجدين كلاهما يطابق الآخر، ولا يتمايز منه في شيء من الأشياء، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية ولا حدود ولا فروق، وكلاهما يريد ما يريده الآخر، ويقدر ما يقدره، ويعمل ما يعمله في كل حال، وفي كل صغير وكبير، فهذان وجود واحد وليس بوجودين، فإذا كان لم يكونا إلا متمايزين متغايرين فلا ينظم على هذا التمايز والتغاير نظام واحد.

وإذا كانا هما كاملين، فالمخلوقات ناقصة، ولا يكون تدبير المخلوق الناقص على وجه واحد، بل على وجوه.

وعلى هذا فبرهان القرآن الكريم على الوحدانية برهان قاطع، وليس برهان خطاب أو إقناع)[1].اهـ

ومن قياس الخلف أيضاً في إثبات أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى، قوله جل وعلا: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}[2] وإذا ثبت أنه ليس فيه اختلاف ولا تضارب في مقرراته وعباراته، فقد ثبت النقيض وهو أنه من عند الله تعالى.

---

(1) العقاد: عباس محمود/ الله- كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص244.

(2) سورة النساء آية 82.

دليل التسليم:

تعريف التسليم: (أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع، لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً ، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه) [1].

ومثال ذلك قوله تعالى:{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }[2].

يقول الإمام الرازي: (اعلم أنه سبحانه ادعى أمرين، أحدهما قوله:{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ }، وهو التنبيه على أنّ ذلك من قول هؤلاء الكفار فإنّ جمعاً منهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، والثاني قوله:{ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ }، وهو قولهم باتخاذ الأصنام آلهةً، ويحتمل أنه يريد إبطال قول النصارى والثنوية، ثم إنّه سبحانه وتعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله: { إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ }.

والمعنى: لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم مُلك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخر، ولغلب بعضهم على بعض، كما ترون حال ملوك الدنيا، ممالكهم متميزة، وهم متغالبون، وحيث لم تروا أثراً للتمايز في الممالك والتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء) [3].اهـ

---

[1] الإمام السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2 ص137.

[2] سورة المؤمنون الآيتان 91-92.

[3] الإمام الفخر الرازي/ التفسير الكبير (مفاتح الغيب) مرجع سابق، المجلد12 ج22 ص 118.

والناظر في سياق الآيات التي قبل وبعد هذه الآية يجد أن المشركين أنفسهم يُقرّون بأن خالق السموات والأرض ورب العرش العظيم ومن بيده ملكوت كل شيء ومن يجير ولا يُجار عليه هو الله الواحد سبحانه وتعالى القائل: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}(1)، والقائل: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(2).

والعجب في حال المشركين أقرارهم بأن الله هو الخالق لكل شيء وبيده كل شيء، ثم إنهم بعد ذلك يشركون به آلهة أخرى،صنعوها بأيديهم ويدّعون له الولد، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

ويتبين لنا أن زعم المشركين باطل من وجهين:

أحدهما: إدعاءهم الولد لله تعالى واتخاذهم آلهة من دونه يتنافى مع إقرارهم بأن الله ربُّ كل شيء ومليكه، وهذا إقراره منهم ببطلان ما يدعون.

ثانيهما: لو سلمنا جدلاً بما يقولون وبما يدعون، لانفرد كل إله بما خلق وظهر التمايز بين المُلكين وحدث التغالب والتحارب، ولعلا بعضهم على بعض، وبما أنه لم يحصل من هذا

(1) سورة المؤمنون الآيات 84-92.

(2) سورة الأنعام آية 101.

شيء بطل ادعاؤهم.

وكذلك نجد أن هذه الآية تتضمن في حقيقتها دليل قياس الخلف (التمانع) حيث لو كان معه سبحانه آلهة كما يقولون لوقع الفساد، ولما لم يحصل الفساد، بطل التعدد وتثبت الوحدانية لله تعالى.

دليل المناقضة:

المناقضة: هي تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه(1)، ومثالها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}(2).

وقوله تعالى في شأن اليهود: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}(3).

فقد ادعوا سلباً كلياً فكذبهم الله تعالى بما يعترفون به وهو الإيجاب الجزئي المناقض للسلب الكلي، فاليهود يعترفون بالتوراة التي بين أيديهم وأنها من عند الله وهذا يتنافى مع قولهم{ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ }(4).

---

(1) السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2ص154.

(2) سورة الأعراف الآيتان40-41.

(3) سورة الأنعام، آية 91.

(4) سورة الأنعام، آية 91.

المبحث الثالث: الإقناع بالأمثال والقصص

المطلب الأول: الإقناع بالأمثال، الكلمات المشابهة والفرق بينها، الأغراض العامة للمثل في القرآن

أولاً : الأمثال

ومن تصريف أساليب الإقناع والاستدلال في القرآن الكريم الإقناع بالمثل، ذلك أن الأمثال تضرب لتوضيح المعنى في أذهان المخاطبين، بإبراز االمعقول في صورة المحس، والمتخيل في صورة المشاهد.

تعريف المثل: المثل في اللغة: الشبه والشبيه، قال الراغب: المثل يقال على وجهين أحدهما بمعنى المثل فهو شِبه وشَبَه والثاني عبارة عن المشابهه لغيره في معنى من المعاني.

قال الراغب: (أصل المثول الانتصاب، والممثل المصور على مثال غيره)[1].

والمثل في اللغة الشبه والشبيه، وضربه عبارة عن إيقاعه وبيانه،وهو في الكلام أن يذكر لحال من الأحوال ما يناسبها ويشابهها، ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً ، ولما كان المراد به بيان الأحوال، كان قصة وحكاية، واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ إلى قلبه، وينتهي إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه[2].

والأمثال من أوضح الأدلة وأنفعها في القرآن الكريم، تصل إلى قلب المخاطب وعقله، تظهر المعقول في صورة المحسوس والمتخيّل في صورة الحقيقة.

---

[1] الراغب الأصفهاني–المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص462.

[2] رضا: محمد رشيد بن علي/ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج1ص197–198.

وضرب الأمثال من باب التشبيه حيث توضح المعاني الكلية والمشاهد الجزئية، فكان المثل ينبوعاً من ينابيع الاستدلال على إثبات قدرة الله تعالى، وصدق ما جاء به الحبيب عليه الصلاة والسلام من الحق.

ثانياً :الفرق بين المثل والند والشبيه والشكل

فالند: يقال فيما يشارك في الجوهر فقط.

والشبه: يقال فيما يشارك في الكمية فقط.

والشكل: يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط.

أما المثل: فهو عام فيها جميعها، فهو لفظ عام للألفاظ الموضوعة للمشابهة والمقارنة. والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره، نحو قولهم (الصيف ضيعت اللبن)[1] [2]ويجمع المثل على مُثل[3].

ويُطلق لفظ مثل على ما كان جامعاً لحقائق وصفات وأحوال معينة متجانسة باعتباره أصبح أنموذجاً دالاً عليها.

---

[1] ضيعت بالكسر للمخاطب المذكر والمؤنث ، لأن المثل يحكى فلا تغيّر صيغته التي تمثل بها أول مرة، ويضرب هذا المثل لمن يضيّع الأمر ثم يريد استدراكه. انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ج1ص575/ المؤسسة العربية الحديثة/ القاهرة ط1384هـ. وقصة المثل أن امرأة جميلة كانت تحت شيخ كبير السن، فكرهته لسوء خلقه وطبعه وشكله فطلقها، فتزوجها شاب جميل الوجه، كثير المال، من قبيلتها، وبعد عام من زواجهما أصاب القرية قحط، فأجدبت الأرض وقل العشب، وجف الضرع،فبعثت إلى زوجها السابق رسولاً تطلب منه مذقة لبن: (شيئاً يسيراً من الحليب)، فقال لرسولها: أبلغ سيدتك قولي هذا(في الصيف ضيعت اللبن)، فرجع إليها الرسول، فوجدها جالسة عند زوجها، فأخبرها ما قاله زوجها السابق، فضربت على منكب زوجها وقالت: هذا ومذقه خير،تعني أنّ هذا الزوج مع عدم اللبن خير من زوجها السابق،فصار قولها مثلاً لمن قنع باليسير، إذا لم يجد الكثيروصار قول زوجها السابق مثلاً لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه،ووردت كلمة الصيف لأنّ طلاقها كان في الصيف.

[2] الراغب الأصفهاني/ المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص462.

[3] ابن منظور/ لسان العرب، مرجع سابق. ج47ص612.

وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: {ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين}(1).

وقوله تعالى: {وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال}[2].

للمثل في اللغة مكانة رفيعة لما تقوم به من دور عظيم في الإقناع وا زالة الإشكال، والمثل القرآني خير دليل على ذلك لما يحوي من معانٍ حسنة ودلائل عميقة تتضمن الحق والحكمة في الاستدلال.

ثالثاً : المثل القرآني اصطلاحاً هو نظم من التنزيل يعرض نمطاً واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليتشبه أو يقارن به سلوك بشري أو فكرة مجردة أو أي معنى من المعاني بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير أو لمجرد الأقتداء به أو التنفير منه والابتعاد عنه، أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو للبرهان على صحة أحدهما وبطلان الآخر(3).

فقد خص الله المثل عن سائر المشابهات عندما أراد أن ينفي عن ذاته التشبيه من كل الوجوه فقال سبحانه: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}(4).

---

[1] سورة النورآية 34.

[2] سورة إبراهيم آية 45.

[3] السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2 ص334.

[4] دخول الكاف على مثل فيها نفي للتشبيه، وتأكيد للنفي، والآية 11 من سورة الشورى.

والأمثال القرآنية تبين إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وفتح آفاق جديدة من العلوم السامية، وفوائد متعددة، وبحسب ما يفتح الله به على العلماء {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}(1).

رابعا: الأغراض العامة للمثل في القرآن

1- التفكر والتذكر والاتعاظ والاعتبار {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(2).

2- لتوضيح المعنى بتقريبه إلى الذهن وأبرازه في صورة المحس المشاهد ومثاله قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}(3).

3- بيان أن المتشابهين متماثلان شرعاً وعقلاً {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(4).

4- تعليم الناس كيف يقيسون الأمور وينتقلون من النظير إلى النظير.

5- أن المتماثلين إذا لم يتساويا إنسد طريق الاستدلال ولم يبق للعقل قيمة.

---

(1) سورة العنكبوت آية 43.

(2) سورة الحشر آية 21.

(3) سورة البقرة آية 17.

(4) سورة الجمعة آية 5.

المطلب الثاني: نماذج من الاستدلال بالأمثال في القرآن

لا أستطيع في هذا المقام حصر جميع الأمثال التي وردت في الكتاب العزيز،ولا سيّما أن هذا ليس موضوع بحثي، لكنني سأتناول بعض النماذج الواردة التي يظهر فيها الإقناع من خلال المثل.

النموذج الأول: في ضعف قوة وقدرة الشريك والند وعجزهم المطلق، وأن الذباب أقوى منهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(1).

عندما أراد الحق سبحانه وتعالى أن يبين للناس عجز الأصنام وعبدتها عجزاً مطلقاً وأن قدرة الله قدرة مطلقة ضرب لنا هذا المثل الموضح والدليل القاطع لإبطال دعوى الوثنية ويقيم الدليل على الوحدانية.

فالأوثان ومن يعبدونها ويقدسونها ولو تضافرت جهودهم لا يتسنى لهم على التابيد أن يخلقوا ذباباً ، تلك الحشرة الصغيرة الضئيلة التي يستحقرونها، وهذا الذباب إذا أخذ منهم شيئاً فلا يستطيعون رده واسترجاعه من الذباب، حيث أثبت العلم الحديث تحول الطعام الذي يتناوله الذباب إلى مادة أخرى وبسرعة فائقة، فلا يمكن إخراجه واستعادته، فدل هذا على أن الأصنام وعبدتها والذباب في الضعف سواء وإن أظهروا القوة والمنعة، فإذا كانت هذه الحشرة من أضعف خلق الله تعالى، فكيف يكون حال آلهتهم أمام قدرة الله تعالى وقوته، وكيف يعبدونهم

---

(1) سورة الحج آية 73.

ويركعون لهم ويسجدون، وهم وما يعبدون لا حول لهم ولا قوة {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}(1).

خصّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة الذباب لمهانته، وضعفه، واستقذاره، وكثرته، فإذا كان الذباب أضعف الحيوانات وأحقرها، لا يقدر من عبدوهم من دون الله –من أصنام وأوثان وأشخاص– على خلق الذباب ودفع أذيته، فكيف يكونون آلهة معبودين، وأرباباً مطاعين؟ ويتحداهم–جل وعلا– بقوله: إن كل ما تعبدون وتستنصرون وتطلبون منهم المعونة من دوني لن ينفعوكم بشيء، ويتحداهم بخلق ذبابة واحدة إن استطاعوا، بل هم عاجزون أيضاً عن مقاومته، وأخذ ما سلبهم إياه، بما امتص من أجسامهم .

والذبابة حشرة صغيرة ذات أجنحة شفافة من رتبة ذوات الجناحين. منها مئة ألف نوع، تنتشر في مختلف بيئات الأرض، منها ما يشبه النحل أو الزنابير بأجسامها وألوانها .

للذبابة المنزلية أرجل مغطاة بالشعر، تنتهي بأهداب ماصة تمكنها من الالتصاق بالأسطح الملساء، فهي تستطيع السير مقلوبة ملتصقة بأسقف الغرف، ويحمل الشعر المنتشر على أرجلها الجراثيم من القاذورات التي تهبط عليها، ولها دبوس توازن في الجناحين الخلفيين يحفظان توازنها أثناء الطيران، وفي قاعدة كل دبوس 418 مستقبلاً عصبياً للحركة لحفظ توازنها. ولها خرطوم ولسان يمتصان الطعام، فإذا صادفت طعاماً صلباً كالسكر تصب عليه من ريقها فيذوب ويمتصه الخرطوم، ولها عيون كبيرة تحوي عدداً كبيراً جداً من العدسات السداسية تساعدها على الرؤية من جميع الاتجاهات .

(1) سورة الأنبياء آية 98.

تتكاثر الذبابة بالبيوض، وتضع في المرة الواحدة مئة وخمسين بيضة، وهي عضوية الأكل (حيواني أو نباتي) وتستطيع الطيران من 3-4كم، ويمكنها أن تطير مسافة 34كم دون توقف. ويخفق قلبها 1000 مرة في الدقيقة الواحدة .

ويحدثنا الله تعالى عن هؤلاء (الجاهلين بالله) بأنهم ضعفاء، فهم لا يستطيعون تخليص ما يسرقهم الذباب من طعام، فهي تمتلك خاصية تحليل الطعام خارج جسمها، فتمد خرطومها من أسفل رأسها لأخذ الطعام، وتفرز إنزيماً خاصاً لتحليل الطعام وتحويله إلى مادة سائلة لامتصاصه، وهذا يعني أنها – الذبابة- لو أُخذت واُستخرجت ما في بطنها، فلن يكون نفس الشيء الذي امتصته، بل هو شيء آخر ومركبات أخرى متحللة، فما أخذه الذباب لا يمكن لأحد من الناس استرجاعه منها على نفس هيئته، بل يكون متغيراً متحللاً(ضَعُفَ الطالب والمطلوب) أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم، والمطلوب هو الصنم، فكلاهما حقير ضعيف)(1).

فهذه الآية الكريمة وإن نزلت في أصنام قريش إلا أنها عامة في سائر المعبودات الباطلة، فترد على الملحد الذي يعبد الطبيعة، والهندوسي الذي يعبد البقر، وعابد الفأر، وغلاة الشيعة الذين يرفعون علياً والحسين إلى درجة أعلى من الأنبياء من دون الله تعالى،وكل من يدّعي أو يُدعى له خصائص الألوهية، فهذه كلها لا تخلق ولا تملك شيئاً .

(1) forum.stop55.com/331779.html

النموذج الثاني: في ثبات الحق وزوال الباطل. وفيه مثلان:

قوله تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}(1).

هذان المثلان ضربهما الله تعالى للحق في ثباته وللباطل في اضمحلاله وزواله كالماء النازل من السماء إلى الأرض فتحتمله الأودية صغيرها وكبيرها فتنتفع الأرض بالماء وهذا هو الحق وأما الزبد وهو ما يعلو الماء من رغوة بيضاء مرتفعة منتفخة، سرعان ما يزول لا ينتفع به أحد، وهذا مثال الباطل، فالباطل مهما كانت له صولة وجولة ومهما علا فإنه لا ينتفع به الناس، وأما الحق فهو النافع للناس كحال الماء ينفع الأرض.

والمثل الثاني: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ}(2)، كذلك الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص مما توقد عليه النار لينتفع الناس به سواء في الحلي أو المتاع فهذا مثال الحق، وما تبقى مما لا ينتفع به الناس زبد كزبد الماء لا ينفع،و هذا مثل الباطل، فيبقى خالص الذهب والفضة ويذهب خبث الحديد وغيره يعلو فوق ما أُذيب من تلك الأجسام كما يعلو الزبد على الماء(3).1هـ بتصرف

وقيل: (شبه الوحي الذي أنزله الحياة القلوب والإسماع والإبصار بالماء الذي أنزله لإحياء الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأوديةفقلب كبير يسع علماً عظيماً كوادٍ كبير يسع ماء كثيراً

---

(2) سورة الرعد آية 17.

(2) سورة الرعد آية 17.

(3) أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف/ تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر–بيروت– 1420هـ، ج6، ص 372.

وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير، فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل غثاءً وزبداً فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويُذهبها كما يُثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدر بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذهب بها فإنه لا يجامعها ولا يشاركها، وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

ثم ذكر المثل الناري فقال تعالى: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ}[1]، وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي يُنتفع به فيُرمى ويُطرح ويذهب جفاءً، فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يستقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم، كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره، ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرها ويعرف ما يُراد منهما فليس من أهلهما)(2).

النموذج الثالث: في بيان حال المنافق ومآله في الآخرة،وفيه مثلان أيضاً.

وفي مقابل ما ضرب الله المثلين بالماء والنار لثبات الحق للمؤمن وإزهاق الباطل فإنه ضرب مثلين آخرين بالماء والنار للمنافق وما يؤول إليه حاله في سورة البقرة فقال تعالى:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ

(1) سورة الرعد آية 17.

(2) ابن قيّم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله/ إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل–بيروت–تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ج1ص152–153.

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق
يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير }(1).

ضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً في النار وآخر في الماء لما فيهما من الإضاءة والإشراق والحياة. فالنار تضيء لصاحبها الطريق والماء يحيي به الناس والله سبحانه وتعال أنزل القرآن الكريم متضمناً حياة القلوب ونورها.

ولما أعرض المنافقون عن القرآن ولم يأخذوا فيه إلا ما كان في مصلحتهم أخبر رب العز ة عن حظهم من الوحي بحسب حالهم وأنهم بمنزلة من أشعل ناراً ليستضيء بها وينتفع منها وهذا بسبب دخولهم في الإسلام ومخالطتهم المسلمينو الرسول عليه السلام فلما لم يرضوا بما جاء في القرآن بعد إسلامهم أطفأالله هذا النور من قلوبهم ولم يقل ذهب بنارهم وا ٍنما ذهب النور وبقيت النار وما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات النار وجعلهم صماً لا يسمعون وبكماً لا ينطقون وعمياً لا يبصرون وذلك بسبب تركهم هدي القرآن العظيم ومنهج الحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم. لأنهم أبصروا ثم عموا وسمعوا ثم صموا ونطقوا بالشهادة ودخلوا بالإسلام بألسنتهم ثم بكموا، ثم فارقوه بقلوبهم فهم لا يرجعون ولا يهتدون سبيلا فهذا حال المنافقين أخذوا من النار الإحراق ولم ينتفعوا بالنور.

والمثل الثاني مثل الماء حيث شبه الله المنافقين الذين نزل عليهم الصيّ ب (وهو المطر النازل من السماء) والرعد والبرق وما فيهم من الصواعق تصخ آذانهم حتى وضعوا أصابعهم فيها لشدة هول الصاعقة وأغمضواأعينهم خشية الصواعق وعندما يضيء لهم البرق يمشون وا ٍذا

---

(1) سورة البقرة الآيات17-20.

أظلم وقفوا في أماكنهم خائفين لثقل ما نزل عليهم من القرآن مما يقرعهم على أقوالهم وأفعالهم.

وهذا حالهم أيضاً خالطوا المسلمين وانتفعوا من المخالطة ولكنهم لم يعتبروا ولم ينتفعوا بالوحي.

النموذج الرابع: في بيان حال اليهود ومن شابههم في عدم الانتفاع بما علموا.

هذا مثال لحال اليهود في عدم انتفاعهم بالتوراة وما فيها من حكم ومواعظ ومن كان على شاكلتهم من الخلق في حمل الرسالة، كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره الأسفار ولا ينتفع بها.

(أعلم تعالى بحال طائفة لاح لهم نور الهدى ووضح لها سبيل الحق فعميت عن ذلك وارتبكت في ظلمات جهلها ولم تزدد بما حملت إلا حيرة وضلالة)(1).

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(2).

وهذا القياس من منزل الكتاب سبحانه وتعالى على قلوب الخلائق ليعملوا به ويتدبروه ويدعو إليه ثم تجد هناك من يخالف ويعرض فكان يحمل الكتاب على ظهر قلبه فإذا قرأ لم يتدبر ولم يفهم إلا ما يريد ولا يتبع ما جاء من الحق ولا يُحكم شرع الله فهذا مثله كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً وأسفاراً وهو لا يدري ما في هذه الكتب وتلك الأسفار وليس له من الحظ إلا حمل هذه الأسفار، وهذا حظ من لم يعمل بكتاب الله كحظ الحمار من هذه الكتب.

ذا المثل وإن ضُرب لليهود فإنه عام من حيث المعنى لمن حُمل الإنجيل ومن حُمل القرآن فترك العمل به ولم يتدبره ويطبق أحكامه ولا يقيم حدوده وأسال الله ألا يجعلنا منهم.

اعلم أنه تعالى لما أثبت التوحيد والنبوة، وبين في النبوة أنه عليه السلام بعث إلى الأميين واليهود لما أوردوا تلك الشبهة، وهي أنه عليه السلام بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إليهم

(1) البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ – 1995 م، ج7ص592.

(2) سورة الجمعة آية 5.

بمفهوم الآية أتبعه اللّه تعالى بضرب المثل للذين أعرضوا عن العمل بالتوراة، والإيمان بالنبي عليه السلام، والمقصود منه أنهم لما لم يعملوا بما في التوراة شبهوا بالحمار، لأنهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها، ولم يوردوا تلك الشبهة، وذلك لأن فيها نعت الرسول عليه السلام، والبشارة بمقدمه، والدخول في دينه، وقوله حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ أي حملوا العمل بما فيها، وكلفوا القيام بها، وقال صاحب «النظم»: ليس هو من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان، ومنه قيل للكفيل: الحميل، والمعنى: ضمنوا أحكام التوراة ثم لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها. قال الكسائي: حملت له حمالة، أي كفلت به، والأسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ، ونظيره شبر وأشبار.

شبه اليهود إذا لم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد صلى اللّه عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب العلمية ولا يدري ما فيها.

وقال أهل المعاني: هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم(1) ثم تلا هذه الآية: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(2).

وقوله تعالى لَمْ يَحْمِلُوهَا أي لم يؤدوا حقها ولم يحملوها حق حملها على ما بيناه، فشبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بحمار يحمل كتبا، وليس له من ذلك إلا ثقل الحمل من غير انتفاع بما يحمله، كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم إلا وبال الحجة عليهم.

---

(1) معنى اتباع القرآن لهم إذا أهملوا العمل به عاقبهم اللّه على تضيع أحكامه وعدم الامتثال بأوامره وإسناد الاتباع إلى القرآن مجاز.

(2) سورة الجمعة آية 5.

ذم المثل: والمراد منهم بقوله: {بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}(1)، أي بئس القوم مثلا الذين كذبوا، كما قال: {سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}(2).

وهنا يأتي تساؤل وهو: ما الحكمة في تعيين الحمار من بين سائر الحيوانات؟ والجواب أنه تعالى خلق: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}(3)، والزينة في الخيل أكثر وأظهر، بالنسبة للركوب، وحمل الشيء عليه، وفي البغال دون الخيل، وفي الحمير دون البغال، فالبغال كالمتوسط في المعاني الثلاثة، وحينئذ يلزم أن يكون الحمار في معنى الحمل أظهر وأغلب بالنسبة إلى الخيل والبغال، وغيرهما من الحيوانات.

كذلك ضرب هذا المثل لإظهار الجهل والبلادة والذلّ والحقارة مالا يكون في غيره من الحيوانات، والغرض من الكلام في هذا المقام تعيير القوم بذلك وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى.

ويأتي أيضاً حمل الأسفار على الحمار أتم وأعم وأسهل وأسلم، لكونه ذلولاً، سلس القياد، لين الانقياد، يتصرف فيه الصبي الغبي من غير كلفة ومشقة(4). أهـ بتصرف

---

(1) سورة الجمعة آية 5.

(2) سورة الأعراف آية 177.

(3) سورة النحل آية 8.

(4) فخر الدين الرازي مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج30ص539-540.

النموذج الخامس: مثل العنكبوت: ضرب لبيان ضعف الشركاء والمشركين.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(1).

(لما بين اللّه تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا، ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده، مثل اتخاذه ذلك معبوداً باتخاذ العنكبوت بيتاً لا يجير آوياً ولا يريح ثاوياً)(2).

(لما بينت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دون الله فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله، أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش في اتخاذهم ما يحسبونه دافعا عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتا تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها، فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق، والمقصود بهذا الكلام مشركو قريش، وتعلم مساواة غيرهم لهم في ذلك بدلالة لحن الخطاب، والقرينة قوله بعده {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ}(3)، فضمير {اتَّخَذُوا} عائد إلى معلوم من سياق الكلام وهو المشركون من قريش.

وجملة {اتَّخَذَتْ بَيْتًا} حال {الْعَنكَبُوتِ} وهي قيد في التشبيه. وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها متوهمين

---

(1) سورة العنكبوت آية 41.

(2) الإمام الرازي/ مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج25ص57.

(3) سورة العنكبوت آية 42.

أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم. وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن)(1). أهـ بتصرف

يبين رب العزة سبحانه وتعالى أن المشركين ضعفاء في أنفسهم والذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا }(2).

(تقول الآية المباركة: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) . سورة العنكبوت: الآية **41** .فهنا نرى القرآن يختار صفة التأنيث حينما يتحدث عن العنكبوت فيقول: (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) وقد كشف العلم مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن .

والحقيقة الثانية هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ولم يقل القرآن خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت وإنما قال بيت العنكبوت وهي مسألة لها دلالة ولها سبب. . والعلم كشف الآن بالقياس: إن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من خيط الحرير وأكثر منه مرونة فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض وزيادة ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة فلماذا يقول القرآن: (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) ولماذا يختم الآية بكلمة (لو كانوا يعلمون) لا بد أن هنالك سراً .

---

(1) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الطاهر(ت 1393هـ)/ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، ج20 ص172.

(2) سورة مريم الآيتان 81–82.

والواقع أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه فيما كشف لنا مؤخراً فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة فالعنكبوت الأنثى تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله. . والأبناء يأكلون بعضهم بعضاً بعد الخروج من البيض ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه.

وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة صغيرة تفكر أن تقترب منه وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل ويلتهم. . إنه ليس بيتاً إذن بل مذبحة يخيم عليها الخوف والتربص وإ نه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً. . ذروة في دقة التعبير وخفاء المعاني ومحكم الكلمات وأسرار العلوم مما كان معروفاً أيام النبي ومما لم يعرف إلا بعد موته بألف عام. . إعجاز قطعي لا شك فيه يتحدى العقل أن يجد مصدراً لهذا العلم غير المصدر الإلهي.

وقد لاحظ بعض علماء (البيونيك) علم يربط بين علم الأحياء والتكنيك أن العنكبوت تفرد بباقة منوعة من المواهب التقنية، التي تأخر الإنسان في محاكاة بعضها حتى القرون القليلة الماضية فمنذ ملايين السنين غزت العناكب طبقات الجو، وغاصت في الأعماق وغزلت خيوطاً غاية في الدقة والمتانة عجزت تقنية القرن الـ 21 عن محاكاتها وتقليدها كما سيتضح فيما يلي:

نسيج العنكبوت:

العنكبوت تشريحياً ليست حشرة، وخيوط العنكبوت تخرج من أحشائها، وهي مرنة أكثر من (النايلون)، ومتينة أقوى من (الفولاذ)، لا تبلى ولا تتهرأ، ولا تتعفن ولا تفسد، ولا تنفذ منها

الأشعة أو الماء أو الغبار، ولا يوجد نسيج خيوط من صنع الإنسان بهذه المواصفات أو الاستخدامات، ومادة هذه الخيوط تنساب، وتنساب من الغدد خلال فتحة ضيقة طويلة، حيث يتبدل قوامها من السيولة إلى الصلابة، ولا أحد يعرف حتى الآن بأي وسيلة يتم ذلك، وتنسحب الخيوط بقوامها الصلب من المغازل (الأعضاء الناسجة للخيوط) الواقعة في مؤخرة جسم العنكبوت.

موهبة الغزل:

يرى العديد من الباحثين أن موهبة العناكب فيغزل الخيوط الحريرية) واحدة من معجزات الخلق الفذة، فخيط العنكبوت إضافة إلى ما سبق يمتاز بالمرونة) التي تجعله يتمدد عند شده بمقدار خُمس الطول الأصلي قبل أن ينقطع ويتمزق ومع هذا فهو (متين)، يتفوق على جميع الخيوط والأسلاك الرفيعة الصناعية، بما فيها الفولاذ في تحمله لقوى الشد العالية، ولا يضاهيه في هذا إلا تلك الخيوط المصنوعة من (الكوارتز) الرمل الصافي المصهور في درجات الحرارة متطرفة الارتفاع حوالي 2.000 درجة مئوية وحينما نتحدث عن خيط العنكبوت فإننا نقصد في كثير من الأحيان شعيرات دقيقة (مجدولة) مثل الحبال، وقد ترق سماكة الشعيرة الواحدة حتى تصل إلى جزء من مليون من البوصة.

ماذا يجري في مصنع الغزل الغريب هذا؟

تحتوي مؤخرة أنثى العنكبوت على مجموعة من الغدد التي تفرز سائلاً خاصاً تبدأ عملية الغزل بإفراز سائل العصارات على الخروج من الفوهات الضيقة الموجودة في مؤخرة العناكب. وهنا تقوم الرجلان الخلفيتان باستقبال الشعيرات الرقيقة جداً و(فتلها) مع بعضها جدلها لتحويلها إلى خيط وحيد متين بالطريقة نفسها المستخدمة في صنع الحبال القوية.

العناكب في الفضاء:

تجربة واحدة كان يحلم بإجرائها العالم (وت) على العناكب، وهي تبني النسيج في حالة (انعدام الجاذبية)، أي في مرحلة انعدام الوزن في الفضاء، وسمحت إدارة الفضاء الأميركية (ناسا) له بإرسال نوع من العناكب على متن مركبة الفضاء الأمريكية (سكاي لاب) التي ظلت في الفضاء حوالي شهر، وقد تكيفت العناكب مع حالة انعدام الجاذبية داخل المركبة في الفضاء خلال أيام، وبنت النسيج الذي كان فيه تماثل غير واضح في شكله البيضوي، وكانت الخيوط أرق بنسبة مقدارها حوالي 20%، وربما كان سبب هذا الإدراك الحسي عند العناكب لحالة انعدام الجاذبية التي تعوم فيها، وبعد أسابيع من مكوثها في الفضاء صارت العناكب تحيك نسيجاً شاذا!، غير منتظم التركيب، ربما بسبب المعاناة.

وأخيراً ماتت العناكب من العطش والجوع على الرغم من أن رواد الفضاء قد حاولوا تغذيتها بوضع فتات اللحم في النسيج، لكنها كانت ترفض التغذي بها، وعلى الرغم من أن تلك العناكب كانت يافعة إلا أن نسيجها الأخير الذي بنته قبل موتها كان كأنه نسيج عناكب كبيرة معمرة، هذه التجربة أظهرت أن باستطاعة العناكب أن تبني نسيجها في أي ظروف، حتى ولو كانت في حالة انعدام الوزن في الفضاء)(1).

---

(1) forum.stop55.com/83757.html

وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}(1)، وقال سبحانه بعد أن ذكر إهلاك الأمم: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}(2).

---

(1) سورة يس الآيات 74-76.

(2) سورة هود آية 101.

المطلب الثالث: الإقناع بالقصص، الأغراض العامة للقصص في القرآن، فوائد القصص القرآني، ميزات القصة، التكرار وفوائده

تعريف القصة و القصص

القص لغة:تتبع الأثر، يُقال قصصت أثره أي تتبعته، والقص: فعل القاص إذا قص القصص والقصة معروفة، والقاص يقص القصص لإتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً ويقال قصصت الشيء: إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}(1)، أي اتبعي أثره والقص إتباع الأثر، ويقال: خرج فلان قصصاً في إثر فلان وقصاً وذلك إذا اقتص أثره(2)والقَصَص: بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه(3)، قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}(4). القصة: هي الخبر والشأن والأمر والحديث وقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب.

وقصص القرآن: أخباره عن الأمم السالفة والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وتتبع آثارهم وتصوير ما كانوا عليه.

والقصة: وهو الخبر المقصوص وقص على خبره يقصه قصاً وقصصاً أورده.

والقصص: الخبر المقصوص، وتقصص كلامه حفظه، وتقصص الخبر تتبعه(5).

---

(1) سورة القصص آية 11.

(2) ابن منظور/ لسان العرب، مرجع سابق، ج7ص73-75.

(3) الجوهري أبو نصر أسماعيل بن حمّاد/ الصحاح في اللغة، مرجع سابق، ج2ص81.

(4) سورة يوسف آية 111.

(5) ابن سيده/ المحكم المحيط الأعظم، مرجع سابق، ج5ص65.

القَصّة بالفتح: الجصّ بلغة الحجاز، وقد قصّص دارها أي جصّصها والقُصّة بالضم: شعر الناصية(1).

القصص في الاصطلاح: الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً .

القصة في الاصطلاح: (هي تصيو الحياة في فترة من فتراتها بذكر أهمّ جزئياتها وملابساتها كما تمرّ في الذهن ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية)(2).

وقيل: القصة هي (حكاية نثرية تصور أحداثاً واقعية أو خيالية لمجموعة من الشخصيات تربطها عناصر مشتركة تعرض أسلوب فكري وفن مشوق بهدف تنمية الشخصية بجميع جوانبها العقلية والوجدانية والجسمية[3].

والقصص القرآني أحسن القصص وأصدقه {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً}[4] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً}[5] {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}[6]، لما تشتمل عليه من أعلى درجات الكمال في البلاغة والبيان.

والقصص القرآني يتحدث عن الأنبياء عليهم السلام مبيناً صفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم في الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده وإبطال ما كان عليه الأقوام من الشرك وعبادة الأوثان، ويتحدث عمن قام مقام الأنبياء عليهم السلام في الدعوة، كمؤمن آل فرعون ومؤمن آل ياسين وحتى الطير فتحدث عن الهدهد الذي قام بدور كبير في عهد سيدنا سليمان عليه السلام، وكان سبباً في هداية ملكة سبأ وقومها وإسلامهم مع سليمان لله رب العالمين.

---

(1) الجوهري/ الصحاح في اللغة، مرجع سابق، ج2ص81.

(2) الشريف: محمود/ القصة في القرآن، ص21.

(3) تدريس علوم الشريعة/ د. عبد الرحمن صالح ص99.

(4) سورة النساء آية 87.

(5) سورة النساء آية 122.

(6) سورة يوسف آية 3.

كما يتحدث القصص القرآني عن أحوال الكافرين والخصوم والطغاة، وأسباب الكفر، وأنواع الشرك، وأعمال المشركين والمنافقين والكافرين وكيدهم للأنبياء والإسلام والمسلمين.

الأغراض العامة للقصص القرآني:

أبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصراً على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، أو على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم، أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل.

إن في تلك القصص لعبراً جمة وفوائد للأمة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرض عما عداه،ليكون تعرضه للقصص منزهاً عن قصد التفكّه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن الكريم متتالية متعاقبة، كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، وهو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه.

وللقرآن أسلوب خاص، وهو الأسلوب المعبر عن التذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها، فكان أسلوبه قاضياً للوطرين وكان أجلّ من أسلوب القصّاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين، صفة البرهان وصفة التبيان.

وتتمثل هذه الأغراض فيما يلي:

1- تصديق وتبين الأدلة والبراهين التي ساقها القرآن لإثبات صحة دعواه، لأن الدليل حينما يأتي في سياق قصة يكون أوقع في النفس وأقوى في التأثير، كما نرى الاستدلال في قصة يوسف عليه السلام، في قوله لصاحبي السجن:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}(1)، وكذلك الدليل العملي على بطلان عبادة الأوثان في قصة إبراهيم عليه

---

(1) سورة يوسف آية 39.

السلام، قال تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ }(1)، {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }(2).

2- بيان أن الناس جميعاً أمة واحدة: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(3)، وأن أساس الدين واحد، ورب الناس واحد، {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ }(4)، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }(5).

3- ما جاء به الرسل من لدن آدم إلى محمد عليهم السلام منهج واحد وهو الدعوة إلى إله واحد، وتشابه الردود من أقوامهم رغم اختلاف الزمان والمكان كقوله سبحانه: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }(6)،

---

(2) سورة الأنبياء الآيتان 57-58.

(3) سورة يوسف الآية 111.

(4) سورة البقرة الآية 213.

(5) سورة آل عمران الآية 19.

(6) سورة آل عمران الآية 85.

(7) سورة الذاريات الآيتان 52-53.

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(1).

4- معرفة أحوال الأمم السابقة والاستفادة من تجاربهم وأخذ المواعظ والعبر منهم وبيان عاقبة المؤمنين والكافرين وبيان مكان كل منها يوم الدين: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ}(2).

5- تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم (صاحب الرسالة) وتسليته وإيناسه في دعوته، قال تعالى: {وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}(3).

6- هناك أغراض خاصة لكل قصة في موضعها إيراد مقصود وأثر مغاير يحتاج إليه السامع لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية(4).

---

(1) سورة النحل الآية 36.

(2) سورة هود الآيات 100-104.

(3) سورة هود الآيات 120-122.

(4) الغزالي: محمد/ المحاور الخمسة في القرآن الكريم، ح

فوائد القصص القرآني:

أولاً : تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث مع إخوانه الأنبياء عليهم السلام وتسليته.

ثانياً : تأصيل الشرائع التي بُعث بها الأنبياء عليهم السلام، وبيان أساس دعوتهم، وأنها جميعها تدعو إلى الإسلام والتوحيد {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}(1)، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(2).

وأن جميع الأنبياء عليهم السلام دعوا أقوامهم إلى توحيد الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}(3).

ثالثاً : الإتعاظ والاعتبار بما حدث للأمم السابقة التي عاندت أنبياءها عليهم السلام {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(4).

رابعاً : إظهار أساليب القصص القرآني في إقناع الناس وكيفية المحاورة والمحاججة وبيان النتائج من بطلان الشرك وعبادة غير الله تعالى.

خامساً : إظهار إعجاز القرآن الكريم للناس كافة من خلال أسلوبه البياني وبلاغته.

سادساً : بالإضافة للأغراض العامة هناك أغراض خاصة تختص بنفس القصة وفي موضعها بحيث يظهر المقصود منها وتكتمل الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية.

---

(1)سورة آل عمران آية 19.

(2)سورة آل عمران آية 85.

(3)سورة الأنبياء آية 25.

(4)سورة يوسف آية 111.

مميزات وخصائص القصة القرآنية:

1– نسج نظمها على أسلوب الإيجاز لتكون أقرب للتذكير من سردها كقصة ومثالها قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }(1)، فجاوت مقالة الأوسط في موقع التذكير لأصحابه وهذا مقصد من مقاصد القصة القرآنية، ولم يكن عند قوله تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ }(2).

2– إن القصة القرآنية تطوي وتحذف ما يقتضيه الكلام الوارد بأسلوب فريد لا يدانيه أسلوب الكاتب أو الأديب، كقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ }(3)، حيث حذف ذكر حضور الملك وطرقه الباب والإسراع لفتحه، حيث أسرع يوسف لفتح الباب ليقطع عليها ما عرفه من المكر والخديعة، وليخبر سيده بما أرادت به من سوء، وإسراعها هي لتقطع على يوسف ما توسمته من شكاية عليها، حيث دل ما بعده عليه من قوله {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(4).

3–سوق القصة وبثها بأسلوب بديع بتجلية مظانّ الاتعاظ بها مع المحافظة على غرضها الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع.

---

(1)سورة القلم الآيات 26–29.

(2)سورة القلم الآيتان 17–18.

(4,3)سورة يوسف آية 25.

التكرار في القصة القرآنية:

هل يوجد تكرار، وإذا كان يوجد فهل هذا للتأكيد والتأثير والإقناع.

يتساءل بعض الناس عن التكرار في القصة القرآنية وإنها وردت في سور شتى من القرآن الكريم سوى قصة يوسف عليه السلام حيث جاءت متكاملة وفي سورة واحدة، فهل هذا من باب التكرار في القصة القرآنية.

اختلفت الأقوال في التكرار في القصة القرآنية فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، والذي أراه أن لا تكرار في القصة القرآنية، وما يظهر للقارئ الكريم أنه تكرار إنما يكون لإظهار فائدة أخرى من فوائد سرد القصص في القرآن الكريم والله أعلم.

ومن هنا فالجواب على هذا التساؤل يكون من خلال النظر الفاحص لكل مقطع من مقاطع القصص، إنما جاء بحسب القدر الذي يتطلبه السياق والمناسبة، وترد القصة كالبرهان على الغرض الذي جاءت معه وحينها لا يعد ذكر القصة مع الغرض تكراراً لها لأنه سبق ذكرها، إنما كان لمناسبة أخرى.

ومن هنا نجد أن القصة حيثما ذكرت حلقة من حلقاتها كان هنالك غرض جديد تؤديه ولا يُعد ذلك تكراراً، لأن المناسبة هي التي تحدد القدر المعروض من القصة وتحدد طريقة العرض وكيفية الأداء.

فوائد تكرار القصة كما يظهر للبعض أنه تكرار:

أولاً : الرسوخ في الأذهان.

ثانياً : إظهار البلاغة من خلال التفنن في طرق عرض وأداء القصة، فيظهر المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وتراكيب الجمل والتقديم والتأخير والحذف والحصر وظهور المحسنات البديعية.

ثالثاً : ليس جميع الصحابة رضي الله عنهم في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانوا يحفظون القرآن وإنما كان جمعهم للقرآن في الجملة أن يحفظ كل واحد منهم سوراً معينة، فيأتي هذا بقصة آدم عليه السلام في البقرة وهذا بالأعراف وذاك في طه وهكذا، فتكتمل القصة من خلالهم جميعاً .

رابعاً : عند بداية تنزل القرآن الكريم لم يكن جميع الناس مؤمنين.

المطلب الرابع: أنواع القصص القرآني، نماذج من الاستدلال بالقصص القرآني

أنواع القصص القرآني:

ما ورد في القرآن الكريم من القصص على ثلاثة أنواع:

الأول: قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تضمنت دعوتهم إلى أقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين والمخالفين لهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة الفريقين من المؤمنين والكافرين المكذبين، كقصة آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ويونس إلى محمد عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: القصص القرآني وهو القصص الذي تعلق بحوادث حدثت في الأمم الماضية، كأصحاب الكهف وأصحاب السبت وذي القرنين وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وقارون ومريم بنت عمران.

الثالث: ما وقع من قصص وأحداث في زمن البعثة النبوية الشريفة، كالإسراء والمعراج والهجرة والمجادلة والغزوات (بدر، أحد، الأحزاب، فتح مكة، حنين، تبوك) وهكذا.

نماذج من الاستدلال بالقصص القرآني:

- قصص الأنبياء عليهم السلام.
- قصص غير الأنبياء.
- قصص أحداث سيرة الرسول عليه السلام.

النموذج الأول: من قصص الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

الدليل العملي على إبطال عبادة الأوثان من خلال قصة إبراهيم عليه السلام.

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ، قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }(1).

الرشد: هو الاهتداء إلى قضايا الحياةوالتصرف فيها تصرفاً سليماً ، وأفضل الرشد رشد الأنبياء عليهم السلام ومنهم إبراهيم عليه السلام، لأن الله أرشده وهو صغير، فكان يتأمل في النجوم، باحثاً عن خالقها وخالق الكون، فكان عليه السلام يعشق المعرفة وحب التوصل إلى الحقائق، وكان الله به عليماً وله مكرماً ، فجعله أباً للأنبياء عليهم السلام، ليكونوا على أثره في الرشد والهدى.

---

(1)سورة الأنبياء الآيات 51-60.

يأتي هذا في سياق قصة الخليل عليه السلام وهو من هو لدى الجميع ولا شك أن ّ له قدراً كبيراً عند أصحاب الديانات السماوية (اليهود والنصارى والمسلمين) فسيدنا إبراهيم عليه السلام، أحد أولي العزم من الرسل وسمي بأبي الأنبياء لكثرة ما كان من ذريته أنبياء عليهم السلام، له قصة طويلة مع والده وقومه وكذلك مع ملك زمانه، ومع هذا وذاك صبر على أقوالهم وأفعالهم، فوالده يقول له لأرجمنك، والملك يأمر بإلقائه في النار، ويأتيه جبريل عليه السلام، ويقول له سل ربك ينقذك منها، فكان جواب إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي، فيقول جبريل عليه السلام ألك حاجة فيجيب أما إليك فلا(1).

إنها تربية يقينية إيمانية لسيدنا إبراهيم ليعلمنا كيف يكون الإيمان بالله؟ وكيف توصل إلى عبادة الخالق الصانع الذي يضع قانونا لصيانة ما يصنع سبحانه وتعالى؟

بسبب هذا الإخلاص آتاه الله رشده من قبل، وهنا يقول لوالده وقومه، ما هذه التماثيل(2)؟ وهذا من باب التهكم والاستهزاء والتحقير لما يعبدون من دون الله، وتقريعاً لهم بعبادتها وانهماكهم في تقديسها، فكان جوابهم ركيكاً، لضعف حجتهم {قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ}(3)، فعبدناها تقليداً لهم، فأجابهم: {قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}(4)، حيث كان واثقاً بربه قوياً أمامهم، وكأنه يقول ما هذا إلا إتباع للهوى وطاعة للشيطان،فأنتم في ضلال وبُعد عن الله

---

(1) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى : 510هـ)/ معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، عام 1417هـ، ج5ص337.

(2) التماثيل هي الصور المصنوعة المشبهة للمخلوقين من إنسان وحيوان وطير وحوت وغيرها، والتماثيل مأخوذة من مثل الشيء وهو الشبيه والنظير.

(3) سورة الأنبياء آية 53.

(4) سورة الأنبياء آية 54.

بهذه العبادة، وكأنه نبههم إلى شيء فأرادوا استجوابه {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ}(1)، أي أتريد أن تستهزئ بآلهتنا فحسب؟ فأجابهم وهو يريد نقلهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد القهّار: {قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}(2) فما تعبدون من صنع أيديكم ليس خليقاً أن يُعبد، ولا يستحق العبادة، وعليكم أن تعبدوا رب السموات والأرض، الذي بيده النفع والضر، وليس بإمكان أوثانكم وتماثيلكم أن تدفع عن نفسها السوء، وما أريد لكم إلا ما أريد لنفسي، بأن نعبد جميعاً إلهاً واحداً قادراً على كل شيء، يخلق ويرزق ويُحيي ويميت، مالك الملك وبيده كل شيء.

بدأ الحديث مع أبيه ليطمئن الناس أن ما يدعو إليه هو الخير، لأن الأب أقرب الناس إلى الابن، وكذلك فإن مقولتهم: {قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ}(3)، تدل على أن عبادتهم لهذه الأصنام عن غير فهم ولا تفكير، لأن العبادة هي طاعة العبد لأمر المعبود، أما أصنامهم فبماذا أمرتهم؟ إنما وجدوا آباءهم يفعلون ذلك.

وهذا الأمر يظهر لنا أنهم كانوا مقلدين لآبائهم وحيث أنّ التقليد لا يصح في التوحيد ولا يقبل فكأنني بأبينا إبراهيم عليه السلام يخاطبهم متهكّما بهم قائلاً: (وأنتم قلدتم آباءكم في هذا الإيمان، فأنتم وآباءكم في ضلال مبين).

وهنا وبعدما رأى من قومه وأبيه من الإنكار والجحود ما رأى وسمع ما سمع من اللجج في الباطل، والجدال بلا جدوى، أقسم أن يكيد لتلك الأصنام التي تُعبد من دون الله، وهي من مخلوقات الله، تسبح الله وتشكر إبراهيم على عمله هذا أن أنجاها من أن تكون نداً لله رغماً

---

(1) سورة الأنبياء آية 55.

(2) سورة الأنبياء آية 56.

(3) سورة الأنبياء آية 53.

عنها، فكيد إبراهيم عليه السلام لم يكن للأصنام وا إنما كان لمن يعبدها من دون الله تعالى.

حيث أراد أن يقيم الدليل على بطلان عبادتها، فإن كانت تضر وتنفع فلتدافع عن نفسها، ولتأخذ الفأس من يد إبراهيم الخليل عليه السلام.

وعلى حين غفلة من قومه ذهب إلى تلك الأصنام ومعه الفأس وأخذ يضرب الأصنام بالفأس، و َتَاللَّهِ َكِيدَنَّ َصْنَامَ كُمْ بَ ْعدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ }(1).

جذاذاً : قطعاً صغيرة متناثرة ومحطمة بعد أن كانت هياكل مجتمعة.

وترك الصنم الكبير لعل القوم بعد عودتهم يسألونه من فعل هذا بالآلهة الصغار؟ ولم لم تدافع عنها؟ ولم لم تُبعد الفأس عن عاتقك أيها الإله؟ ولكن لا مجيب. فهل تداركوا هذا الأمر؟ وهل خاطبوا عقولهم أنه لا يضر ولا ينفع ولا يدفع عن نفسه ولا عن الآلهة الصغار الضُّر والأذى؟

أي إله هذا لكنّ كبرياءهم بادئ الأمر منعهم من الرجوع إلى أنفسهم وعقولهم، فقال قائلهم: {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ }(2)أي سمعوا أنّ إبراهيم عليه السلام يذكر ألهتهم بالسوء،وا إنه يريد تحطيمهم {قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ }(3)، أي ليرى الناس ما سيفعلون بإبراهيم عليه السلام من العذاب، ليكون عبرة لغيره فلا يجرؤ أحد على هذه الفعلة، فلما جيء بإبراهيم عليه السلام، بدؤوا باستجوابه مباشرة، {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ }(4)، وهذا السؤال على سبيل الاتهام، وليس مجرد استجواب، فلما سمع

---

(1) سورة الأنبياء آية 58.

(2) سورة الأنبياء آية 59-61.

(3) سورة الأنبياء آية 61.

(4) سورة الأنبياء آية 62.

سؤالهم أجابهم بمثل سؤالهم محقراً لعقولهم {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }(1)، حيث رد الأمر لمن لا يستطيع الفعل، ويزيدهم تبكيتاً وتحقيراً، وهو يقول: {فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }(2)، عندها أخذوا يستخدمون عقولهم لينطقوا بالحق {إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ }(3)، فلما استيقظوا ونطقوا بالحق عرفوا أن هذا الأمر سيكلفهم الكثير من الخسائر الدنيوية، وتفقدهم السلطة، {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ }(4)، وهم يقولون لإبراهيم إنك تعلم إنهم لا ينطقون فقال لهم عليه السلام {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿66﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }(5).

أف اسم فعل بمعنى أتضجّر مما تفعلون من عبادة الأصنام من دون الله تعالى.

وهنا انتقلوا من الكلام واللسان إلى الرمح والسنان فقالوا: {حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ }(6)، قالوا حرقوه وهنا الفعل المشدد ليدل على المبالغة في التعذيب، ولم يقولوا احرقوه وانصروا آلهتكم، فهم يعتقدون أن المعركة بين إبراهيم وبين الآلهة، والحقيقة أن إبراهيم وتلك الآلهة إنما يعبدون الله تعالى، فهم في صف واحد ضد هؤلاء القوم، وهنا تتدخل الرعاية الإلهية {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ }(7)، ويأتي أمر الله لتُخرق نواميس الكون، وسلب النار خاصية الإحراق، لا بل وجعلها برداً وسلاماً، ولم يجعلها برداً حتى لا يتأذى، بل قيد البرد بالسلام، حتى لا يصاب بأدنى أذى، فكان مكثه في النار من أجمل أيام حياته، فهو في ضيافة

---

(1) سورة الأنبياء آية 63.

(2) سورة الأنبياء آية 63.

(3) سورة الأنبياء آية 64.

(4) سورة الأنبياء آية 65.

(5) سورة الأنبياء آية 66، 67.

(6) سورة الأنبياء آية 68.

(7) سورة الأنبياء آية 69.

الرحمن سبحانه وتعالى، ثم قال سبحانه:{ وَأَرَ اد ُوابِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }(1)، فتأتي هنا العناية الربانية بإبراهيم حيث أراد القوم له الكيد والإحراق بالنار، والخلاص منه، ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد، فلم يستطيعوا فعل شيء بإبراهيم وهو يتنعم في النار التي أوقدوها،وكذلك أنهم لم يسلموا من دعوته مراراً ، وأيضاً لهم الحساب العسير يوم القيامة، لذا قال ربنا سبحانه:

فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وآخرتهم، وكانت النجاة لإبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

---

(1) سورة الأنبياء الآيتان 70-71.

المبحث الرابع: الإقناع بالقسم

المطلب الأول: تعريف القسم، فوائده، أمثلة على القسم

القَسَم :

ومن أساليب الإقناع في القرآن الكريم، استخدامه أسلوب القسم لتوضيح الأمر، وتأكيد الكلام الذي بعد القسم لترسيخ المعنى المطلوب في ذهن السامع.

القَسم: بفتح الفاء والعين – الحلف

تعريف القسم: من أقسم يُقسم إقساماً بمعنى الحلف واليمين، ليست مصدر وإنما هي عبارة عن جملة بمعنى اليمين فهو بمعنى المقسم به، والغرض منه توكيد الكلام الذي بعده من إثبات أو نفي.

ولله تعالى أن يُقسم بما يشاء من مخلوقاته، وأما المخلوق فمنهي عن الحلف والقسم بغير الله.

القسم اسم: أقيم مقام المصدر وكثر استعماله ومصدره الحقيقي الأقسام.

والقسم مأخوذ من القسامة التي هي الحُسن، فكأن الحالف حسّن ما يقوله بتأكيده باسم الله تعالى.

وحقيقة القسم عند النحويين ضم جملة خبرية إلى مثلها بحيث تكون كل منها اسمية أو فعلية، تؤكد الثانية بالأولى، متضمنة اسماً من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، وربما كان ذلك باسم غيره مما يعظمه المقسم، وتكون اليمين لُغوية لا شرعية.

القسم في الاصطلاح: عبارة عن تحقيق ما يحتمل المخالفة أو تأكيده، بذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، ماضياً كان أو مستقبلاً لا في معرض اللغو والمناشدة(1).

والقسم يأتي ليؤكد الخبر ويحققه، لذا قال السيوطي (والقصد من القسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل قوله تعالى: { الله يشهد إن المنافقين لكاذبون}(2)، قسماً وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيد الخبر سمي قسماً)(3).

ويحوي القرآن الكريم ألواناً من تصريف البيان كثيرة، والقسم واحد منها استخدمها القرآن الكريم لتقرير دعوته وتثبيت شريعته، وذلك لقوة القسم وعظم تأثيره على قلوب الناس الذين ما زالوا على الفطرة التي فطرهم الله عليها، ولما يدخله القسم من الروعة في قلوب البشر.

(عن الأصمعي قال: أقبلت من جامع البصرة، فطلع إعرابي على قعود(4)، فقال: ممن الرجل؟ قلت من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت:من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: اتل علي، فتلوت (والذاريات) فلما بلغتو{ فلِيسَّمرَاإِ ْقُكُم ْ }(5)، قال حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت فإذا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فقال: وهل غير هذا فقرأت { َ ب ِّ

(1) العلائي الدمشقي الشافعي: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيدكدي بن عبد الله/ الفصول المفيدة في الواو المزيدة، دار البشير عمان، ج1، ص 235.

(2) سورة المنافقون آية 1.

(3) السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، النوع 67، ج2، ص 123.

(4) القعود: اسم من أسماء الجمل.

(5) سورة الذاريات آية 22.

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ}(1)، فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه فألجئوه إلى اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه)(2).

فوائد القسم:

قد يقول البعض إن القسم عديم الفائدة حيث أن المؤمن مصدقٌ من غير قسم، وأن الكافر لا ينتفع بالقسم، فالجواب يكون من وجوه ثلاثة:

1- أن العرب كانت تكثر من القسم فأنزل الله القرآن الكريم بلغتهم وإنما كانوا يقسمون لتأكيد الخبر وتحقيقه.

2- أن القسم أحد أساليب الإقناع لإقامة الحجة على الكافرين من جميع الوجوه(3).

3- للقسم تأثير أقوى وأعظم في الاستدلال عند بعض الناس.

---

(1) سورة الذاريات آية 23.

(2) الآلوسي/ روح المعاني مرجع سابق، المجلد،9،ج 27، ص 110.

(3) السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، النوع السابع والستون ج2، ص 122.

أمثلة على القسم:

1-أقسم الله سبحانه وتعالى على التوحيد {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}[1].

2-أقسم على البعث والجزاء {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ}[2].

3-أقسم على عظم شأن القرآن {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[3].

4- أقسم على الرزق، وأنه من عنده سبحانه {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}[4].

5- وهناك آيات كثيرة جليلة ورد فيها القسم مصحوباً بالآيات الباهرة، والدلائل الظاهرة على صدق دعواه، والمجال لا يتسع لذكرها، لأن بعض السور القصيرة، وصل فيها القسم إلى قرابة عشر آيات، وكلها لها معان جليلة، وحجج دافعة من أجل إقناع المخاطبين.

لا يأتي القسم بالدليل المجرد وحسب وا ٕنما يأتي في كثير من الأحيان مصحوباً بالدليل العقلي.

فهذا دليل عقلي ظاهر على وحدانية الله وا ٕبطال التعدد.لأن الكون وما فيه من خلق وا ٕبداع وعناية وتدبير وترابط وتكامل أكبر دليل وأوضح برهان على وحدانية الله تعالى شأنه.

---

[1] سورة الصافات آية 1-4.

[2] سورة الذاريات آية 1-6.

[3] سورة الواقعة آية 75-80.

[4] سورة الذاريات الآيتان 22-23.

المطلب الثاني:أنو اع القسم، أحوال المقسم عليه

أنواع القسم[1]

القسم نوعان: القسم الظاهر والقسم المضمر.

الظاهر: وهو ملصد ُ رح فيه بفعل القسم، وصرح فيهالمه ُ قسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء.

وقد أدخلت "لا" النافية على فعل القسم في بعض المواضع. كقوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}[2]، فقيل: "لا" في الموضعين نافية لمحذوف يناسب المقام، والتقدير مثلاً: لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف فقال: أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، أنكم ستبعثون. وقيل: "لا" لنفي القسم كأنه قال: لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غيرمقسم م، أتحسب أنّا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم. وقيل: "لا" زائدة – وجواب القسم في الآية المذكورة محذوف دل عليه قوله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ}... إلخ، والتقدير: لتبعثن ولتحاسبن.

2- والقسم المضمر هو ما لميصر ّح فيه بفعل القسم، ولابالمقس َم بهوإ نما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}[3]، أي والله لتبلون.

---

[1] القطان،منّاع/ مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ – 2000م، ص303-306.

[2] سورة القيامة الآيتان 1-2.

[3] سورة آل عمران آية 186.

أحوال المقسم عليه:

1- المقسم عليه يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

2- وجواب القسم يُذكر تارة -وهو الغالب- وتارة يحذف، كما يحذف جواب "لو" كثيراً، كقوله: {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}(1)، وحذف مثل هذا من أحسن الأساليب؛ لأنه يدل على التفخيم والتعظيم، فالتقدير مثلاً: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين لفعلتم ما لا يوصف من الخير، فحذف جواب القسم كقوله: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ}(2)، فالمراد بالقسم أن الزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهل أن يقسم الرب عز وجل به. فلا يحتاج إلى جواب، وقيل: الجواب محذوف، أي: لتعذبن يا كفار مكة، وقيل: مذكور، وهو قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}(3)، والصحيح المناسب أنه لا يحتاج إلى جواب.

وقد يحذف الجواب لدلالة المذكور عليه، كقوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}(4)، فجواب القسم محذوف دل عليه قوله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}(5)، والتقدير، لتبعثن ولتحاسبن.

3- والماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام و"قد"، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام. كقوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ

(1) سورة التكاثر آية 5.

(2) سورة الفجر الآيات 1-5.

(3) سورة الفجر آية 14.

(4) سورة القيامة الآيتان 1-2.

(5) سورة القيامة آية 3.

إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}(1)، فجواب القسم: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} حذفت من اللام لطول الكلام.

ولذلك قالوا في قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}(2)، إن الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيًا عن الجواب؛ لأن القصد التنبيه على المقسَم به، وأنه من آيات الرب العظيمة، وقيل: الجواب محذوف دل عليه: {قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ} أي إنهم ملعونون، يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: حذف صدره، وتقديره: لقد قتل؛ لأن الفعل الماضي إذا وقع جوابًا للقسم تلزمه اللام و"قد"، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام، كما سبق في قوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}(3)، وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}(4).

4- ويقسم الله على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها فتارة يقسم على التوحيد، كقوله: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ}(5).

وتارة يقسم على أن القرآن حق كقوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}(6).

وتارة على أن الرسول حق كقوله: {يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}(7).

---

(1) سورة الشمس الآيات 1-9.

(2) سورة البروج الآيات 1-4.

(3) سورة الشمس آية 1.

(4) سورة الشمس آية 9.

(5) سورة الصافات الآيات 1-4.

(6) سورة الواقعة الآيتان 75-76.

(7) سورة يس الآيات 1-3.

وتارة على الجزاء والوعد والوعيد: كقوله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً، فَالْحَامِلاتِ وِقْراً، فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ }(1).

وتارة على حال الإنسان، كقوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}(2).

والمتتبع لأقسام القرآن يستخلص الفنون الكثيرة.

5- والقسم إما على جملة خبرية -وهو الغالب- كقوله تعالى: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ}(3) وإما على جملة طلبية في المعنى كقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(4)، لأن المراد التهديد والوعيد.

(1) سورة الذاريات الآيات 1-6.

(2) سورة الليل الآيات 1-4.

(3) سورة الذاريات آية 23.

(4) سورة الحجر الآيتان 92-93.

الفصل الرابع: خصائص الإقناع

المبحث الأول: تصريف ألوان البيان

المبحث الثاني: السهولة واليسر

المبحث الثالث:إيقاظ الفطرة وا ٍقناع العقل

المبحث الرابع: بلاغة الإقناع والأسلوب المعجز

<u>الفصل الرابع:</u> خصائص الإقناع

إن الناظر في آيات كتاب الله العزيز يجد فيها ما لا يجده في غيره من الكتب والمؤلفات، وذلك أن هذا الكتاب إذا قرأ فيه العالم فإنه يجد فيه ما يلبي رغباته واحتياجاته، وكل من البشر يأخذ من القرآن الكريم ما يكفيه، فليس في القرآن الكريم أمر مبهم لا يعرفه البشر، وليس فيه ما يوجب العنت والمشقة في فهمه، فهو ميسر يسره الله للناس، {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}(1).

ولهذا جاء القرآن الكريم نافعاً للبشرية جمعاء في الماضي والحاضر والمستقبل، كل يأخذ منه ما يكفيه، ولكن آيات الكتاب العزيز لم تتغير ولم تتبدل، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(2).

إنه كتاب الله الذي أنزله على قلب رسوله الكريم، ليكون منهاجاً ودستوراً للناس، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(1) سورة القمر آية 17.

(2) سورة فصلت الآيتان 41-42.

المبحث الأول: تصريف ألوان البيان

معنى التصريف: الانتقال من حال إلى حال ومن نوع إلى نوع سواء كان الانتقال باللفظ والأسلوب أم في المعنى، فقد ينتقل القرآن الكريم بالقارئ من ضرب المثل إلى القصة ومن التهديد والوعيد إلى التبشير ومن ذكر حال المؤمنين إلى ذكر حال الكافرين ومن المخاطب إلى الغائب ومن الإفراد إلى التثنية والجمع وهكذا، وقد وردت آيات في القرآن الكريم كثيرة تتضمن كلمة تصريف منها: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}(1)، {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}(2)، {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(3)، {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}(4).

والتصريف في القرآن الكريم، إما أن يكون في اللفظ والأسلوب وإما أن يكون في المعنى بحيث يختلف باختلاف السياق الذي ذكر فيه اللفظ فيعطي دلالةً جديدةً ومعنىً مختلفاً عما ورد في سياق آخر، ففي القصة الواحدة المذكورة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، تجد فيها بعض الألفاظ تتكرر، وبعضها يختلف ولكن في كلا الحالتين تجد عبرةً جديدةً وموقفاً متغيراً يناسب السياق الذي وردت فيه تلك الكلمة، قال الرماني: (وهذا الضرب من التصرف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه، وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة قد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى عليه السلام في سورة

---

(1) سورة الإسراء آية 89.

(2) سورة الأنعام آية 65.

(3) سورة الأنعام آية 105.

(4) سورة طه آية 113.

الأعراف وفي طه والشعراء، لوجوه من الحكمة منها التصرف في البلاغة من غير نقصان، ومنها تمكين العبرة والموعظة)(1).

وأما تصريف البيان في اللفظ والأسلوب، فلو نظرنا إلى سور القرآن نجد منها الطوال والمئون والقصار، ومع ذلك نجد في قصار السور من إثبات الوحدانية، وأبطال الشرك والأوثان، وتوجيه النظر إلى الكون، وبيان قدرة الله فيه وغيرها من الأمور، ما نجده في المئون والطوال من السور ولكن بتوسع في الطوال، فسورة الإخلاص تدعو إلى توحيد الله ونفي الشريك والصاحبة والوالد والولد والمماثلة، وهي من أقصر سور القرآن وتجد هذا في سورة البقرة وآل عمران والكهف وغيرها من السور الطوال والمئون، وفي الجميع بيان لأعلى درجات البلاغة والإعجاز التي لا يصل إليها البشر، حيث أعطى من يشغلهم أسباب الرزق عن التعلم والإحاطة به، قصار السور وفيها غناء لا قصور فيه، بل إنه كمال في كمال.

وأعطى ذوي العلم الإحاطة بالسور الطوال والمئون والقصار، وما فيها من العلوم الشرعية، وعلم الكون، لا يحيط به مـَنْ دونهم، وبين أولى العلم وأرباب العمل من لديه وقت متوسط، فأعطاهم المئون والقصار،وهكذا كل حسب عمله وفراغه فيأخذ كلٌ منهم ما يناسبه من القرآن الكريم، الذي هو كتاب هداية للناس أجمعين.

---

(1) رسالة الرماني من مجموع الرسالة في إعجاز القرآن ص101.

المبحث الثاني: السهولة واليسر

قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}(1).

إن ألفاظ القرآن الكريم تجري على اللسان بسهولة ويسر، يعذب وقعها على الأذن بكل اتساق وانسجام، ويظهر ذلك واضحاً إذا ما قارنّا أو نظرنا إلى أدلة المتكلمين وغيرهم، وما فيها من تفريعات ومقدمات، قد تثير الشبهات أكثر من إقرارها للحقائق.

ومن ذلك ما يعرف عندهم بدليل الحدوث، الذي يستدلون به على وجود الخالق تعالى شأنه(2).

في حين عند التلاوة في كتاب الله تجد أن الاستدلال على وجود الخالق، لا يحتاج إلى كل هذه المقدمات وهذا العناء، بل تجد القرآن الكريم ينطق بعبارة موجزة سهلة، يفهمها الصغير والكبير والعالم والجاهل،{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ}(3)، ومن هنا يتبين للجميع أن الكون وما فيه مخلوق، وأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

فالقرآن الكريم يوصل الإنسان إلى ما يريد ومن أقرب طريق، وبأسلوب بدهي سهل، ويخاطب الجميع من خلال الأمور التي لا يستطيعون إنكارها، بل درجوا على معرفتها.

وهنا يقول الرافعي رحمه الله: (وانظر هل ترى هذه السهولة الغريبة في نفسها، مما يمكن أن يحس فيها روح إنساني كسائر الأساليب، أم هي سهولة الأوضاع الإلهية التي يعرفها كل الناس، ويعجز عنها الناس كلهم، ثم يعرف العلماء منها غير ما يعرفه الجهال، ثم يمتاز بعض العلماء على بعض، ثم يبقى فيها سر الخلق مع كل ذلك مكتوماً لا يعرف)(4).

---

(1) سورة القمر آية 17.

(2) العمرو: آمال بنت عبد العزيز/ الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، ص112.

(3) سورة الطور آية 35.

(4) الرافعي: مصطفى صادق/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 206.

المبحث الثالث: إيقاظ الفطرة وإقناع العقل

أولاً : إيقاظ الفطرة.

القرآن الكريم في استدلاله وإقناعه يخاطب الفطرة الطاهرة النقية المستقيمة على الحق، التي أودعها الله في الإنسان فغفل صاحبها عنها، وتغيرت وانحرفت عن الطريق، بسبب ما أدخل الإنسان على فطرته من معتقدات جديدة لم ينزل الله بها من سلطان، فجاء القرآن الكريم مخاطباً الفطرة لإيقاظها ومذكراً صاحبها بأصل فطرته الطيبة، ليزيل ما أصابها من زيغ وفساد وباطل مما اكتسبه الإنسان، فعندما تقرأ في كتاب الله، تستشعر أنه يخاطب من غفل عن وجود الله تعالى، لا خطاب منكر لوجوده سبحانه وتعالى، وهذا الأمر يلفت نظر الإنسان إلى فطرته، ممهداً الطريق لعودة الإنسان ليؤمن بربه الذي خلق فسوى وقدّر فهدى، فقوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[1][2]، هذه الآية وغيرها من الآيات تنبه العقل، وتوقظ الفطرة، وتنقيها مما علق بها من أوهام وشوائب، فيفهمها العالم والجاهل، كون الفطرة في الإنسان لا تفاوت فيها بين الناس.

([1]) سورة يونس آية 31.

([2]) نظرات في المنهج الاستدلالي في القرآن الكريم ص56.

ثانياً : إقناع العقل.

من خصائص الإقناع في القرآن الكريم أن القرآن الكريم يخاطب العقل بالدليل والبرهان، ويحرك العاطفة والوجدان، لإلزام الناس بالحجة، فتأتي الأدلة القرآنية مشبعة بالمنطق الوجداني والجدل التصويري والتخيّل الحسي، مستثيرة للعاطفة والوجدان أثناء سوق الأدلة البرهانية والمقدمات العقلية، لتصل من أقرب الطرق إلى النتيجة المسلّمة.

فأسلوب الإقناع في القرآن الكريم يزاوج بين إيصال القناعة للعقول وا متناع العواطف في القلوب، بأسلوب الترغيب أو الترهيب، مصحوباً بالحجج والبراهين المنطقية الإقناعية.

إنّ الخطاب القرآني للعقل البشري لا يتسامى إليه أي أسلوب وأي خطاب مهما بلغ صاحبه من درجات البلاغة والثقافة والعلوم، ولا يصل الخطاب البشري إلى أدنى درجات الخطاب الرباني، وشتان بينهما، فالقرآن الكريم تحدى البشرية جمعاء من الإتيان بمثلة، لا بل بسورة من مثله، ولكن هيهات هيهات.

المبحث الرابع: بلاغة الإقناع والأسلوب المعجز

أولاً : بلاغة الإقناع.

من خصائص الإقناع في القرآن الكريم أنه يأتي بطرق وأساليب مختلفة،، لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من العلم أن يبلغ شيئاً منها، لذا كان القرآن الكريم كله معجزاً متحدياً للعرب الأقحاح أصحاب البلاغة وفنون الأدب، (وهذا الأسلوب فإنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز، وليس من كلام العرب شيء يمكن أن يكون معجزاً، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة، واعتقلهم عن الكلام فيها، وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يتلكئون)(1).

ويأتي الإقناع بطريق الحوار والجدل وبالأمثال والقصص والقسم وجميعها تأتي بأسلوب بلاغي معجز، فهذه البلاغة في الإقناع.

ثانياً : الأسلوب المعجز.

اختص منهج الإقناع في القرأن الكريم أن يأتي بأسلوب بارع في الإعجاز بأحسن الألفاظ، متضمناً أفصح وأصدق المعاني، يجمع بين البيان والإجمال، مزاوجاً بين العقل والوجدان، مازجاً الحق بالجمال.

ويظهر هذا واضحاً عند مقارنته بأسلوب البشر، فالناظر في كلام البشر لا يرى الأشياء على ما هي عليه، إنما يراها كما يراها الكاتب أو الأديب، الذي يعكس طبعاً مميزاً لصاحبه من خلال البيئة التي يعيشها الأديب، فتلقي عليه ظلالها وتضع بصماتها واضحة في أسلوبه.

---

(1) الرافعي: مصطفى صادق/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص188.

أما كلام الله تعالى فإنه يجعل الإنسان يرى الأشياء على حقيقتها دون تمويه لتلك الحقائق أو تغيير لذلك الواقع، ويأتي هذا كلّه من خلال حسن الصياغة وبراعة الأسلوب في القرآن الكريم، بحيث يقنع العقل ويجذب الروح ويأسر القلب بإبرازه الواقع بصدق متناه ودقة بالغة.

أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك ابا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك، لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أنّي من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيدة، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن لمثمر أعلاه، مغدق أسفله،وإنه ليعلوا ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر(1).

ومن هنا نجد أن خصائص الإقناع في القرآن الكريم، لا يحيط بها العقل البشري مهما بلغ من العلم، فإنه لا يفتأ ينهل من معين القرآن الذي لا ينضب،ويتجدد على كثرة الردّ، فكلما ازداد الإنسان من كتاب الله، كلما تفتحت له خصائص وأساليب في الإقناع والإعجاز.

([1]) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص117 النوع 64.

الفصل الخامس: أثر منهجية القرآن في الإقناع في الحياة العلمية والعملية

المبحث الأول: تحرير العقل من التقليد وهدم العقائد الباطلة

المطلب الأولتحرير العقل من التقليد على غير هدى ً من العقل

المطلب الثاني: هدم العقائد الباطلة

المبحث الثاني: بناء العقيدة الصحيحة، بناء المجتمع المثالي

المطلب الأول: بناء العقيدة الصحيحة ونتائج التربية السليمة

المطلب الثاني: بناء المجتمع المثالي في المدينة المنورة

الفصل الخامس: أثر منهجية القرآن الكريم في الإقناع في الحياة العلمية والعملية:

لقد جاء القرآن الكريم مبتدأ نزوله آمراً بالقراءة والعلم، قال تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(1) وإنما كان الأمر بذلك ليلفت انتباه البشرية جمعاء إلى أن الأمة ترقى بالعلم، وتُخذل بالجهل، وتبقى تحت سيطرة التقليد الأعمى واتباع ما لم يأمر به الله، ويحث البشرية على استخدام العقل الذي ميزهم به عن سائر المخلوقات.

ويتضح هذا الرقي من خلال المحاور التالية:

1- تحرير العقل من التقليد على غير هدىً من العقل.

2- هدم العقائد الباطلة.

3- بناء العقيدة الصحيحة.

4- بناء المجتمع المثالي في المدينة المنورة.

(1) سورة العلق آية 1-5.

المبحث الأول: تحرير العقل من التقليد وهدم العقائد الباطلة

المطلب الأول: تحرير العقل من التقليد على غير هدىً من العقل.

خلق الله آدم عليه السلام وميزه بالعقل عن سائر المخلوقات وعلمه الأسماء كلها وأخرج ذريته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم أن الله خالقهم فقالوا شهدنا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (1).

إن من ينعم النظر في مشارق الأرض ومغاربها يرى العجب من انحراف الكثير من ذرية آدم عليه السلام عن منهج الله تعالى واتباع مناهج بشرية تلبي رغباتهم وتشبع شهواتهم، فلا اعتبار لخالق ولا توافق مع الأنبياء والمرسلين وما جاءوا به، لأنه يكبح جماحهم، ويقضي على غرائزهم وشهواتهم،فيشعرون أنهم في ضيق وشدّة، وذلك بسبب عدم استخدامهم عقولهم في معرفة الله تعالى.

وعندما بعث النبي الكريم عليه السلام كانت الأمة العربية غارقة في عبادة الأوثان التي جاء بها كبراء المشركين إلى مكة المكرمة، وأخذوا يطوفون حولها ويركعون لها ويستقسمون بها ولا يرضون بديلاً عنها، حيث خيّم على عقولهم كثير من الاعتقادات والأساطير التي تناقض العقول السليمة، فكانوا يعتقدون نفع الأصنام وضرها، حتى أصبح خوفهم من انتقامها كبيراً، وخوّفوا إتباعهم الذين عطلوا عقولهم عن إدراك الخطأ من الصواب في مثل تلك الاعتقادات.

---

(1) سورة الأعراف الآيات 172-174.

بدأ الإسلام بخطاب العقل لإقناعه بصواب الحق الذي جاء به القرآن الكريم، وبطلان ما عليه الجاهليون وتطهير تلك العقول من الخرافات والدجل، وجعل العقل يعتقد أن هناك إلهاً واحداً يدبر شؤون الكون، يُحي ويميت، يخلق ويرزق، يعطي ويمنع، وليس هناك تعدد للآلهة كما يزعمون، فقال سبحانه وتعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}(1).

أما وقد انتظم أمر العالم العلوي والسفلي، وارتبط بعضه ببعض، وجرى على نظام واحد محكم، فهذا من أعظم الأدلة على أن مدبر هذا الكون إلهٌ واحد لا إله إلا هو.

ثم يأتي بعد ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}(2).

وهذا أيضاً تصريح من الله تعالى في تحريم التقليد والتبعية على غير هدى من العقل، لأن الله خلق آدم عليه السلام مفطوراً على الإيمان والتوحيد، ولو أرادوا الإتباع الصحيح لاتبعوا ما كان عليه آدم وأبناؤه الأنبياء عليهم السلام، إلى محمد صلّى الله عليه وسلم، لأن الدين عند الله الإسلام، ولكنهم غيروا وبدلوا، وأصبح منهجهم مخالفاً لما أراده الله تعالى، فأخذوا بمنهجهم الوضعي وتركوا منهج الله وراء ظهورهم، فلما جاءهم الحبيب الكريم صلوات الله وسلامه عليه، يأمرهم باتباع منهج الله، والعودة إلى ما كان عليه الأنبياء عليهم السلام، رفضوا اتباعه وقالوا: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}(3)، فكان الرد الإلهي عليهم: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا

(1) سورة المؤمنون الآيات 90-91.

(2) سورة البقرة آية 170.

(3) سورة البقرة آية 170.

يَ هْ تَدُونَ }(1)، فهل هؤلاء الآباء الذين غيروا وحرفوا يستحقون الإتباع؟ وهل أنت أيها الإنسان بلا عقل تميز به وتهتدي من خلاله إلى التشريع الإلهي فتتبعه؟ أم أنك حجرت على عقلك فلا يستوعب ولا يهتدي إلى الحق؟ فلو كان للمقلد قلب يفقه به لنفر من التقليد وعبادة الأوثان، واهتدى بعقله إلى الإيمان بالتوحيد.

وجاءت الهمزة في قوله تعالى: {أولو} لتدل على الإنكار لفعلهم، والتعجب من صنيعهم، بتقدير أيتبعون ما ألفوا عليه الآباء في كل حال، وفي كل شيء، ولو كان الآباء لا يعقلون شيئاً من الدين، حتى وصلوا إلى أن ما هم عليه من الباطل هو الحق، كما أخبر رب العزة حكاية عن فرعون{مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ }(2).

هل كان فرعون يتبع تشريع من قبله؟ أم شرّع هو بنفسه، فاتبعه قومه{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }(3)، أم جاءه كتاب من عند الله غير ما جاء الأنبياء عليهم السلام، و{قَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }(4).

ومن هنا نجد أن في هذه الآيات الأدلة القاطعة على بطلان التقليد للآباء والرؤساء، لأنه عصبية جاهلية،وأن هؤلاء المتبوعين سيتبرؤون من الأتباع الذين قلدوهم واتبعوهم من غير

---

(1) سورة البقرة آية 170.

(2) سورة غافر آية 29.

(3) سورة الزخرف آية 54.

(4) سورة الزخرف الآيات 20–25.

إعمال للعقل، {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}(1).

أما إذا كان الأتباع على هدى من العقل والشرع، كاتباع الأنبياء عليهم السلام فيما جاءوا به عن ربهم جل وعلا، فهذا لا يعتبر تقليداً باطلاً ، لأن المتبع استعمل عقله، واهتدى بفطرته أيضاً إلى الحق، وعن طريق الشرع الحكيم.

---

(1) سورة البقرة آية 166.

المطلب الثاني: هدم العقائد الباطلة وأسباب انتشارها

أولاً : هدم العقائد الباطلة.

عندما نزل القرآن الكريم على قلب الحبيب عليه السلام، كان من مقاصده تحرير العقول والنفوس من الخرافة والجهل، حيث سلك طرقاً مختلفة في ذلك، فكان فأول ما اتجه إليه القرآن الكريم كما هو في الآيات المكية هدم العقائد الباطلة، وهو ما يعرف بتأسيس الجانب النفسي، الذي ينبني عليه الجانب السلوكي عند الإنسان.

ومن هذه العقائد الباطلة التي هدمها القرآن الكريم عبادة الأوثان والنجوم والكواكب وعبادة الملائكةوا إبطال ألوهية المسيح وعزير وا إبطال عقيدة الدهريين الذين قالوا:

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}(1)ومن ثم إثبات أن الخالق والرازق والمحيي والمميت والمستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى،إله واحد لا إله غيره ولا معبود سواه.

ونضرب المثال التالي مع سيدنا إبراهيم ليتضح المقال، من خلال سورة الأنعام،

قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ،إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(2).

---

(1) سورة الجاثية آية 24.

(2) سورة الأنعام الآيات 75-79.

إن الناظر لأول وهلة في هذه الآيات يظن أن إبراهيم عليه السلام قد استجاب لقومه، ونزل عند رغبتهم في عبادة ما يعبدون من دون الله، وحاش لله أن يكون خليله كذلك، ولكن المتمعن في كتاب الله، ينظر إلى خليل الرحمن عليه السلام وهو يتدرج مع قومه، ويتقمص دورهم وكأنه واحد منهم،ليريهم كيف يُستخدم العقل في إبطال هذه العبادة للكواكب والقمر والشمس، {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}(1)، حتى توصل بهم إلى قوله تعالى: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(2)، حيث أراد إبراهيم عليه السلام من قومه أن يستخدموا عقولهم في معرفة من يستحق العبادة ممن لا يستحق، ومن يقدر على النفع ممن لا يقدر، وأن الذي يستحق العبادة لا ينبغي له الأفول، ولكن قومه المعاندين رفضوا ما دعاهم إليه، وأصروا على شركهم، فكانت النتيجة أن قام إلى أصنامهم فحطمها وعلق الفأس في الصنم الكبير، كأنه غضب من عبادة الأصنام الصغير معه، لعلهم يرجعون إلى عقولهم، فما كان منهم إلا أن قالوا: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}(3)، وهذا هو الدليل العملي من أجل إقناع المشركين فقال الحق سبحانه {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(4)، {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}(5)، فجعلهم الله سبحانه وتعالى الأخسرين فكانوا وما يعبدون حصب جهنم {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}(6).

والأمثلة في كتاب الله كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها هنا.

---

(1) سورة الأنعام آية 76.

(2) سورة الأنعام آية 79.

(3) سورة الأنبياء آية 68.

(4) سورة الأنبياء آية 69.

(5) سورة الأنبياء آية 70.

(6) سورة الأنبياء آية 98.

ومن هنا نعلم أن كل عقيدة لا يُقرها وحي،و لا كتاب سماوي، فإنها لا تنسجم مع العقل والفطرة، وتكون بذلك عقيدة باطلة، لانعدام التسليم فيها لله تعالى، مه{رنَ ّبِ تَغْتَغِ ْرالأَ سِ ْلام دِ ينفَلَن ْ يُ قْبَ لَمِ نْهُ وَهُوَ فِالآخِ رِ مَالْخَ اسِ رِ ينَ }(1).

ومن هنا حكم رب العزة على عقائد المشركين بمختلف أصنافهم بالبطلان والفساد، لتسويتهم غير الله به سبحانه حيث قالت اليهود: بألوهية العزير وأنه ابن الله، وقالت النصارى، بألوهية المسيح وأنه ابن الله، وأن الله ثالث ثلاثة قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }(2) {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(3).

وقال مشركوا العرب بألوهية الأوثان، وأنهم إنّما يعبدونهم ليقربوهم إلى الله {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }(4).

وكذلك جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثا وطلبوا من النبي الكريم المعجزات والآيات كما طلبها من سبقهم فقال عنهم سبحانه {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }(5).

---

(1) سورة آل عمران آية 85.

(2) سورة التوبة آية 30.

(3) سورة المائدة آية 73.

(4) سورة الزمر آية 3.

(5) سورة البقرة آية 118.

ثانياً : أسباب ظهور العقائد الباطلة:

مما ورد في القرآن الكريم:

1- تقليد ومضاهاة الكافرين من قبل وقد ذكرنا في الصفحة الماضية عنهم وبعد قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }(1)، {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }(2)، نهاهم الله عن ذلك بقوله سبحانه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }(3)، وقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا }(4).

2- إتباع خطوات الشيطان: بين القرآن الكريم خطر الشيطان على بني آدم وإقسامه بعزة الله أن يغوي البشر والقعود لهم في شتى السبل، {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }(5)،

---

(1) سورة التوبة آية 30.

(2) سورة البقرة آية 118.

(3) سورة المائدة آية 77.

(4) سورة النساء الآيتان 171-172.

(5) سورة النساء الآيتان 171-172.

فإبليس صدق ظنه على الناس،واستطاع إغواءهم وا ِضلالهم، دون ضرب بسوط ولا عصا، وا ِنما ظن أنه إن أغواهم أجابوهوا ِن أضلهم أطاعوه(1)، {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }(2).

وقال زيد بن أسلم: إن إبليس قال يا رب أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي لا تجد أكثرهم شاكرين، ظنا منه فصدق عليهم إبليس ظنه.

وقال الكلبي: إنه ظن أنه إن أغواهم أجابوهوا ِن أضلهم أطاعوه، فصدق ظنه.

{فَاتَّبَعُوهُ } قال الحسن: ما ضربهم بسوء ولا بعصاوا ِنما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته.{إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }(3)، فيه قولان: أحدهما أنه يراد به بعض المؤمنين، لأن كثيرا من المؤمنين من يذنب وينقاد لإبليس في بعض المعاصي، أي ما سلم من المؤمنين أيضا إلا فريق وهو المعنى بقوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ }(4)، قال ابن عباس: هم المؤمنون كلهم، فتكون من بيانية لا للتبعيض، فإن قيل: كيف علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب؟ أجيب: لما نفذ له في آدم ما نفذ، غلب على ظنه أنّه ينفذ له مثل ذلك في ذريته، وقد وقع له تحقيق ما ظن. وجواب آخر وهو ما أجيب من قوله تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ }(5)، فأعطي القوة والاستطاعة، فظن أنه يملكهم كلهم بذلك، فلما رأى أنه سبحانه تاب على آدم وأنه سيكون له نسل. يتبعونه إلى الجنة وقال: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ }(6)، علم أن له تبعا ولآدم تبعا؛ فظن

---

(1) الإمام القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج14ص293.

(2) سورة سبأ آية 20.

(3) سورة سبأ آية 20.

(4) سورة الحجر آية 42.

(5) سورة الإسراء آية 64.

(6) سورة الحجر آية 42.

أن تبعه أكثر من تبع آدم، لما وضع في يديه من سلطان الشهوات، ووضعت الشهوات في أجواف الآدميين، فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم تلك الشهوات، ومدهم إليها بالأماني والخدائع، فصدق عليهم الذي ظنّه(1). اهـ بتصرف

وقد زعم إبليس إنه سيغوي البشرية جمعاء كما فعل بأبيهم آدم من قبل ولكن الله آيسه من ذلك، {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}(2)، فعرف إبليس أن هناك فئة من الناس ستنجو منه ومن كيده وإغوائه، فقال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}(3)، فتبع كثير من الناس إبليس، الذي مهد لهم وزين الشهوات في أعينهم وأسماعهم، وخدعهم بمكره وكيده.

3-إتباع الهوى:

الهوى في اللغة: هَوِيَ يَهْوَى هَوًى، أي أحبه، وهَوَى بالفتح يَهْوِي هُوِيًّا، أي سقط إلى أسفل. وكذلك الهُوِيُّ في السير إذا مضى. وهَوَى وانْهَوَى بمعنًى. وهَوَت الطعنةُ تَهْوِي: فتحت فاها. وأَهْوَى إليه بيده ليأخذه. قال الأصمعي: أَهْوَيْتُ بالشيء، إذا أَوْمَأْتَ به. ويقال: أَهْوَيْتُ له بالسيف(4).

وقيل الهوى: ميل النفس مطلقا.

إنما سمي الهوى هوىً ، لأنه يهوي بصاحبه في النار، أي يرمي به يقال هوى الرجل يهوي إذا وقع من فوق إلى أسفل، وأهويته أهويه إذا ألقيته إلى أسفل،وهوى الدَّلْو

---

(1) الإمام القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج14ص292-295.

(2) سورة الحجر آية 42.

(3) سورة ص الآيات 82-85.

(4) الجوهري الفرابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد/ الصحاح في اللغة، مرجع سابق، ج2ص260.

يهوِي هَوِيّاً، من النزول من الارتفاع إلى التَّسفُّل(1).

الهوى في الاصطلاح: ميلان النفس إلى ما تستلذه من غير داعية الشرع.(2).

وقيل: نزوع النفس لسفل شهواتها في مقابلة معتلى الروح المنبعث انبساطه(3).

بين الحق سبحانه وتعالى أن إتباع الهوى سبب كبير من أسباب معارضة الكفار لدعوة الحق وعدم استجابتهم لها، قال تعالى {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(4).

الهوى المحمود: كل ما وافق الكتاب العظيم وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلّم، لقوله عليه السلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"(5). الهوى المذموم: ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع.(6).

قال ابن عباس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه، قال الله تعالى: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

---

(1) الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم/ الزاهر في معاني كلمات الناس تحقيق: د. حاتم صالح الضامن دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1412 هـ –1992، ج2ص326.

(2) نكري: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد/ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1421 هـ – 2000 م الطبعة: الأولى، تحقيق وتعريب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ج1ص143.

(3) المناوي: محمد عبد الرؤوف/ التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، 1410 ص744.

(4) سورة القصص آية 50.

(5) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة/ رفع اليدين في الصلاة، تحقق: أحمد الشريف، دار الأرقم – الكويت، الطبعة: الأولى، 1404 – 1983 ص46.

(6) التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق ص744.

كَمَثَلِ الْكَلْبِ }(1)، وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }(2)، وقال تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ }(3)، وقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ }(4)، وقال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }(5)، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"(6).

4- البغي بعد العلم:

ذكر رب العزة أن أهل الكتاب اختلفوا بعد العلم وبغى بعضهم على بعض وكفروا بآيات الله قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }(7)، فالإسلام دين الأمم جميعاً، والمعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى، وقد دعا جميع الأنبياء أقوامهم للإسلام، ولكن أهل الكتاب اختلفوا بعد ما جاءهم العلم في دين الله تعالى عدواناً وبغياً .

---

(1) سورة الأعراف آية 176.

(2) سورة الكهف آية 28.

(3) سورة الروم آية 29.

(4) سورة القصص آية 50.

(5) سورة ص آية 26.

(6) رفع اليدين في الصلاة مرجع سابق ص46.

(7) سورة آل عمران آية 19.

5- **<u>الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض:</u>**

حذر القرآن الكريم مما يفعله بعض الناس، حيث يؤمنون ببعض ما جاء به الرسل عليهم السلام، ويكفرون ببعض، ومنهم من يؤمن ببعض الرسل وكفر ببعض، وهؤلاء عذّف عليهم القرآن الكريم بالخزي في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(1)، وأمثال أولئك الذين يؤمنون ببعض صفات الله ويكفرون ببعض كالصابئة والفلاسفة الذين يُقرون بأصل الرسالة، لكنهم يجعلون الرسول كالملك العادل، حيث يظهر من خلال أقوالهم كقولهم (الرسالة العامة دون الخاصة أو الأمور العملية دون العلمية أو الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي تميز بها الأنبياء، وكثير من هؤلاء يُقرّون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الجملة ويعظمونه ويقولون اتفق الفلاسفة على أنه لم يرد الأرض ناموس أعظم من ناموسه، ومع هذا يكفرون ببعض ما جاء به مثل أن يسوّغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية وقد يسوّغون الشرك أيضاً لعامة أو لخاصة مثل أن يسوّغوا دعوة الكواكب وعبادتها والسجود لها)(2).

ومن هنا كان تفرقهم في الدين، فأخذت كل طائفة منهم تبتدع وتشرع ما لم يشرعه الله {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}(3).

(1) سورة البقرة آية 85.

(2) القماش: عبد الرحمن بن محمد/ الحاوى فى تفسير القرآن الكريم ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق)، دولة الإمارات العربية، ج326 ص191-199.

(3) سورة آل عمران آية 20.

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(1).

(1) سورة المائدة آية 14.

المبحث الثاني: بناء العقيدة الصحيحة، بناء المجتمع المثالي

المطلب الأول: بناء العقيدة الصحيحة ونتائج التربية السليمة

أولاً : بناء العقيدة الصحيحة:

إن أهم ما ابتدأ به الحبيب صلى الله عليه وسلم دعوته، الدعوة إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان وعبادتها، فلما أمر بالجهر بالدعوة بقوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }(1)، وقف على الصفا وأخذ ينادي في قبائل العرب، فاجتمع الناس حوله، فقال لهم: قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فعرفوا ما يريده، وأيقنت نفوسهم بذلك،لكنهم جحدوا واستكبروا وعتوا عتواً كبيراً ، وأخذوا يقولون: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ }(2)، لأنهم عرفوا لو أنهم أقروا بها فإنهم سيبطلون كل تعلق بغير الله تعالى، كتعلقهم بهبل واللات والعزى، فأنكروا عليه ما جاء به، وعارضوه معارضة شديدة، وحاربوه ومن سار معه.

كان عليه السلام يرسخ هذه القضية في قلوب أتباعه علماً وعملاً ، فلم يسجد لغير الله، ولم يكتف بالقول، إنما كان همّه عليه السلام أن يبني أمة تعرف التوحيد، وتعمل بمقتضى لا إله إلا الله، فلا تبرّك بالأصنام، ولا استقسام بالأزلام، ولا تحكيم لغير شرع الله تعالى.

استمر هذا الأمر ثلاثة عشر عاماً ، والقرآن يتنزل على قلب النبي عليه السلام، ليثبت العقيدة ويركزها في قلوب المؤمنين، لأنها أساس هذا البناء العظيم الذي ما أن هاجر صلى الله

---

(1) سورة الحجر الآيتان 94- 95.

(2) سورة ص الآيات 4-7.

عليه وسلم إلى المدينة حتى كان التوحيد راسخاً في قلوبهم، فكان إيمانهم لا يتزعزع، وكان راسخاً رسوخ الجبال.

فكلمة التوحيد منهج حياة متكامل، يحكم علاقة المسلم مع نفسه، فلا يملك أن يتصرف إلا بأمر الله، يبذل الحب والولاء للمؤمنين، ويتعاون معهم على البر والتقوى والعدل والإحسان، ومنهج أيضاً يحكم علاقة المسلم بغيره من الكفار والمنافقين واليهود، فيبرأ مما يفعلون ولا يواليهم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}(1).

منهج يحكم علاقة المسلم بربه، فيعبدوه وحده بلا شريك، يرجو رحمته ويخشى عقابه ويأمل لقاءه، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}(2).

إن مقتضى كلمة التوحيد والفهم الكامل لها {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ، لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}(3).

---

[1] سورة الممتحنة آية 1.

[2] سورة الكهف آية 110.

[3] سورة الزمر الآيات 1-5.

يبعد الإنسان عن الشرك والتركيب لعقائد مختلفة، ليرضى به الآخرين على حسب الثوابت والكليات، لأن فيه من الكفر ما لا يرضى رب العزة سبحانه وتعالى، وابتغاء لغير دين الإسلام {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }(1)، {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }(2).

فالتوحيد مبدأ دعوة الأنبياء عليهم السلام، بذلوا لها الوقت الكافي لبنائها وترسيخها في قلوب أتباعهم، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ }(3).

فما أحوج المسلمين اليوم إلى غرس العقيدة في نفوس الأجيال، يسقونها مع اللبن، ويسمعوه أول ما يفصح لا إله إلا الله، فتكون أول ما يتكلم بها، ويعرف معناها، ويعمل بمقتضها، (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)(4).

---

(1) سورة آل عمران آية 5.

(2) سورة الإخلاص الآيات 1-6.

(3) سورة الأنبياء آية 25.

(4) الإمام أبو عبد الله البخاري/ الجامع الصحيح، مرجع سابق، حسب ترقيم فتح الباري دار الشعب– القاهرة الطبعة: الأولى، 1407– 1987، ج2ص125.

ثانياً : نتائج التربية العقدية الصحيحة:

لقد كان همّ الحبيب صلّى الله عليه وسلم أن ينوّر القلوب بنور الله تعالى، قبل أن يبني البيوت وتفتح المدن، فقد أرسى قواعد التربية العقدية في قلوب أصحابه، حتى صارت راسخةً كالجبال، فكان لها ثمر طيب شهي، بلغ برائحته الآفاق، ومن هذه الثمار:

أولاً :التميّز والمفاصلة.

فقد كان لبناء العقيدة الصحيحة في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم دور بالغ في الأهميّة في ضبط علاقتهم بغير المسلمين، وذلك من خلال تقديم المصالح الشرعية على المصالح الذاتية، ومن الأمثلة على ذلك:

1-أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه، عندما رأى إصرار والده على قتله وقتل المسلمين، قام إليه فقتله، رافضاً مودة أبيه على حساب الشرع.

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(1).

2-وهذه أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان تمنع والدها من الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة.

3-وهذا مصعب بن عمير يمر على أخيه أسيراً مع أحد الصحابة فيقول لصاحبه أشدد وثاقه فإن أمّه ذات متاع لعلها تفتديه منك فيقول أخوه أهذه وصيّتك يا أخي فيقول: إنه

(1) سورة المجادلة آية 22.

أخي دونك، والأمثلة كثيرة لا يتسع لها المجال.

فكان التميّز والمفاصلة أصل من أصول العقيدة الإسلامية الغراء.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}(1).

ثانياً : البذل والتضحية.

إن الذين تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسخت في قلوبهم عقيدة التوحيد،وعرفوا معناها، وتخلّقوا بها، ودافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة، فبذلوا أرواحهم رخيصة من أجلها، لأنهم لم يجعلوا في قلوبهم غير الله، فلما قرءوا كتاب الله، وفيه ما وعدهم ربهم بجنات عرضها السموات والأرض، ورضوان الله وما شابه ذلك من الآيات، جعلوها نصب أعينهم، فهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وبذلوها من أجل لقاء الله وتعالى وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، ومن هذه الأمثلة:

1- ياسر وزوجته وابنهما عمار يعذبون، فيمر عليهم الرسول الكريم عليه السلام فيقول لهم "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة"، فتعطيهم هذه الكلمات معنوية عالية جعلتهم يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله (2).

(1) سورة الممتحنة آية 1.

(2) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار [151هـ] /سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، ج4ص172.

2- وفي غزوة بدر، سمع عمير بن الحمام رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على القتال ويرغب في الجهاد ويشوق إلى الجنة ويقول: («قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ». قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ قَالَ «نَعَمْ». قَالَ بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ». قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ - قَالَ - فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)[1].

3- وفي أحد الليالي يأتي رجل إلى المدينة المنورة، ويحل ضيفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيدخل النبي عليه السلام على بيوت أزواجه، يسألهن عن طعام يقدمه للضيف، فلم يجدفي بيوتهن ّ إلا الماء، فيرجع إلى المسجد،ويقول من يضيّف ضيف رسول الله؟ فيقول أحد الصحابة أنا يا رسول الله، فيأخذ الضيف إلى بيته فيقول لزوجته ما عندك طعام؟ فتقول كسيرات خبز لأطفالنا قبل أن يناموا، فيقول: إنه ضيف رسول الله، علليهم حتى يناموا، ثم ائت بالطعام لضيف رسول الله، وتظاهري أنك تصلحي

---

[1] مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري/صحيح مسلم، دار الجيل بيروت . بيروت، ج6ص44، رقم الحديث(5024).

المصباح فأطفئيه، ثم نوهم الضيف أنا نأكل ولا نأكل، فأكل الضيف وشبع، وفي الصباح غدوا إلى المسجد لصلاة الصبح، فقال له الحبيب صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله بصنيعكما بضيفكما الليلة).

ثالثاً : الثبات والقوة.

لكلمة التوحيد في قلوب أصحابها أهمية بالغة، تجعلهم يثبتون على مبادئهم لا يتنازلون عنها مهما كانت النتائج.

فهذا حمزة رضي الله عنه عندما سمع أن أبا جهل لطم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة- وكان عائداً من الصيد- ضرب أبا جهل ضربةً قوية، وقال أتضربه وأنا على دينه أقول ما يقول "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، وكأنه نطق بها حمية وعصبية جاهلية، فلما قالها وكان قبلها مشركاً لم يرجع للشرك بعدها، وثبت عليها حتى صار سيد الشهداء عليه رضوان الله.

ومن أثر العقيدة القوية أنها في حقيقتها ثروة روحية عظيمة، تجعل الإنسان يمشي على الأرض بالحكمة، ويهتدي إلى الصراط المستقيم، فهي قوة في العقل، قوة في اليد، قوة في اللسان، قوة في الفكرة،إنها قو ة مزدوجة فيها قوتان، واحدة تدفع الأثرة والأنانية في النفس، وأخرى تدفع الظلم والبغي والعدوان في النفس، وفي الوقت نفسه ينسحب ذلك على بناء الأسرة، لأنها مكونة من أفراد، ثم المجتمع كله، لأنه مكون من أسر.

إن أثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً وأثبت قول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي التي ضربها الله مثلاً في كتابه العزيز ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ }(1)، ثم بعد قال تعالى:{ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }(2)، فإذا عصفت الفتن بالناس، تطايرت قلوب أصحاب العقائد الباطلة، وثبتت قلوب أصحاب التوحيد، لرسوخ العقيدة الصحيحة في قلوبهم.

---

(1) سورة إبراهيم آية 24.

(2) سورة إبراهيم آية 25.

المطلب الثاني: بناء المجتمع المثالي الفاضل في المدينة المنورة

لم يكن للعرب قبل الإسلام اعتبار ولا حضور بين الأمم، إنما كانوا مجموعات من القبائل المتفرقة، لا يحكمهم نظام ولا قانون، يتقاتلون لأتفه الأسباب، ولا يتخلون عن الحرب فيما بينهم، حتى قال قائلهم:

(وأحياناً على بكر أخينا..... إذا لم نجد لا أخانا)[1].

وأسوأمن ذلك أنّ الدول المجاورة لهم كالفرس والروم كانت تتلاعب بهم، حتى ازدادوا فرقة، بحيث انقسموا على بعضهم، فهذه القبيلة انضوت تحت زعامة الفرس، وتلك تحت زعامة الروم، فيتقاتلون فيما بينهم لحماية أسيادهم.

وبعد مجيء الإسلام نقلهم نقلة نوعية، وجعل منهم أمة لا نظير لها في التاريخ، حيث قال تعالى{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }[2].

ومنذ فجر التاريخ والحضارة الإنسانية، والمفكرون والمصلحون يحلمون بما يسمى بالمجتمع المثالي، (أو المدنية الفاضلة)[3]إلا أنّ هذا المجتمع المثالي لم يتحقق إلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان الرجل من المهاجرين يقتسم مع الرجل من الأنصار ماله وأهله وبيته، ونزل القرآن الكريم يشيد بهم (أي الأنصار ويزكي صنيعهم){وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

([1]) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ج1ص130.

([2]) آل عمران آية 110.

([3]) عند أفلاطون.

الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[1].

وكانت أهم القوميات الموجودة في العالم في ذلك الوقت ممثلة في الدولة الإسلامية (المجتمع الإسلامي) دونما تفريق أو تميز بين بلال الحبشي أو صهيب الرومي أو سلمان الفارسي أو بينهم جميعاً وبين أبناء العرب، شعارهم قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[2].

وقد توجه القرآن الكريم إلى عقول المخاطبين وأقنعهم بطرق جليلة، حتى أصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

---

(1) الحشر آية 9.

(2) الحجرات آية 13.

النتائج والتوصيات

النتائج:

1- القرآن الكريم المعجز- الرسالة لخالدة- له منهجه الخاص به في الإقناع والاستدلال.

2- تقدير القرآن الكريم للعقل وتكريمه باعتباره أداة فهم وا ٍدراك.

3-تحذير القرآن الكريم من كل ما يحجر على العقل أو يقيّد حركته.

4- تصريف ألوان البيان والاستدلال في القرآن الكريم لإقناع الخصم.

5- استخدام القرآن الكريم أساليب الحوار والجدل، وضرب الأمثال وعرض القصص وكذلك القسم وغيرها من أجل إقناع الخصم.

التوصيات:

1- أوصي بمزيد من الدراسة لطرق ووسائل الإقناع في القرآن الكريم، وبيان أن استخدامها هو الطريق الأمثل لإقناع الخصم.

2- كما أوصي باستخدام أسلوب الحوار والإقناع والجدال بالتي هي أحسن، من خلال القرآن الكريم نفسه مع المخالفين من المذاهب والطوائف الأخرى.

3- تكاتف الأيدي والعمل سوياً من أجل إزالة الفرقة والتشرذم بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد، بإبراز طرق وأساليب القرآن الكريم في ذلك، من خلال الإقناع والاستدلال.

Abstract

The message lies in the 181 pages include an introduction and five chapters and a conclusion, as follows:

Chapter One: the establishment of the Koran to the methodology
Chapter II: persuasion and building the foundations of the Koran have
Chapter III: Methods and techniques of persuasion in the Qur'an
Chapter IV: characteristics of persuasion
Chapter V: The Impact of the Quran in a systematic scientific and practical life
Conclusion

المصادر والمراجع:

- إبراهيم: سيد قطب/ في ظلال القرآن، دار الشروق . القاهرة.
- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار [151هـ] /سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف
- ابن جني: أبو الفتح عثمان/ سر صناعة الإعراب المؤلف، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، 1985. تحقيق: د.حسن هنداوي
- ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن محمد/ مقدمة ابن خلدون.
- ابن قيّم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله/ إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل–بيروت–تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.
- ابن قيّم الجوزية: محمد بن أبي بكر/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي–بيروت.
- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي/ المخصص، دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1417هـ 1996م الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال.
- ابن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل/ المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية سنة 2000م بيروت.
- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري/ لسان العرب دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.
- ابن نبي: مالك/ الظاهرة القرآنية.

- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي/ ديوان الحماسة
- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف/ تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت.
- أبو زهرة: محمد/ تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
- أبو زهرة: د. محمد/ المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي– القاهرة
- أبوعبيدة: معمر بن المثنى/ مجاز القرآن، مكتبة الخانجى–القاهرة، تحقيق: محمد فواد سزگين.
- الآحمدي: الأستاذ أنس سليم/ بحث في المرونة، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع/ الرياض.
- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد/ تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الاستانبولي: إسماعيل حقي/ تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي.
- الألمعي: د. زاهر عواض/ مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية.
- الآلوسي: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق علي عبد الباري عطية.
- الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم/ الزاهر فى معانى كلمات الناس تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة 1412هـ =1992م.

- الباقلاني: محمد بن الطيب/ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- لبنان، سنة النشر: 1407هـ.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله(ت 256هـ)/ الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة/ رفع اليدين في الصلاة، تحقيق: أحمد الشريف، دار الأرقم – الكويت، الطبعة: الأولى.
- البريكان- د، إبراهيم بن محمد بن عبد الله/ تعريف الخلف بمنهج السلف.
- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى : 510هـ)/ معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر
- البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله/ شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية- باكستان.
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي/ التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.
- الجويني: إمام الحرمين، ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف/ الكافية في الجدل، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار النشر: مكتبة الكليات الأزهرية

- الحموي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.
- الرّازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر/ مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ.
- الرّازي: الإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين/ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى . بيروت.
- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت 502هـ)/ المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.
- الرافعي: مصطفى صادق/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.
- الرمّاني: رسالة الرماني في إعجاز القرآن.
- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني/ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- الزمخشري: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي . بيروت.
- السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين/ الإتقان في علوم القرآن.
- الشريف: محمود/ القصة في القرآن.
- الشعراوي: محمد متولي/ تفسير الشعراوي.
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي/ المعجم الكبير.

- **الطبري: أبو جعفر محمد بن جري(310هـ)/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر.**
- **العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج27ص4.**
- **العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو 395هـ)/الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي – قم، ط1 سنة 1412هـ.**
- **العقّاد:عباس محمود/ الله–كتاب في نشأة العقيدة الإلـهية.**
- **العلائي الدمشقي الشافعي: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيدكدي بن عبد الله/ الفصول المفيدة في الواو المزيدة، دار البشير عمان.**
- **العمرو: آمال بنت عبد العزيز/ الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية.**
- **الغزالي: محمد/ المحاور الخمسة في القرآن الكريم.**
- **الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد/ معاني القرآن، تحقيق: نجاتي:أحمد يوسف/ نجار: محمد علي/ شلبي:عبد الفتاح، دار المصرية للتأليف والترجمة–مصر.**
- **الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد/ كتاب العين، دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.**
- **القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت 671هـ)/ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، الناشر دار عالم الكتب/ السعودية، طبعة"1423هـ.**

- القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم/ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، الناشر: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة . بيروت.
- القطان:منّاع/ مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- القمّاش: عبد الرحمن بن محمد/ الحاوى فى تفسير القرآن الكريم ويُسَمَّى جَنَّةُ الْمُشْتَاقِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ)، دولة الإمارات العربية.
- المناوي: محمد عبد الرؤوف/ التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى.
- النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد/ أسباب النزول الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
- بنهروال: الأستاذ عبد السلام/ المنهج القرآني في الجدل والاستدلال.
- دراز: محمد عبد الله/ النبأ العظيم.
- رضا: محمد رشيد بن علي/ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- زهير: أ.د محمد أبو النور/ أصول الفقه، دار المدار الإسلامي– بيروت،2004م.
- سرحان: أ.د. محمد أحمد محمود/ فتح الوهاب في علوم الكتاب.
- شلبي: د. رءوف/ منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية.
- صالح: د. عبد الرحمن/ تدريس علوم الشريعة.

- مصطفى: إبراهيم . الزيات: أحمد . عبد القادر: حامد . النجار: محمد/ المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- نصّار:أ.د محمد عبد الستّار/ المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلماء الكلام.
- نكري: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد/ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1421 هـ، تحقيق وتعريب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.
- نظرات في المنهج الاستدلالي في القرآن الكريم.
- forum.stop55.com/83757.html
- forum.stop55.com/331779.html